مقررات معهد
المنهج الدراسي الميسر

رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر
من الصف الأول إلى الثاني عشر

القواعدُ المُثلَى

في

صفاتِ اللهِ تعالى

وأسْمائهِ الحُسنى

للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى (ت ١٤٢١)

تحقيق وتعليق
أبي عبد الله محمد المصنعي
وفقه الله تعالى


رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر
من المستــوى الأول إلى الثـــاني عشـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين الحق المبين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فهذا تحقيق وتعليق على كتاب (القواعد المثلى)، للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى ورفع درجته.

وهو من أحسن الكتب في قواعد العقيدة في باب الأسماء والصفات، وقد اقتبس المؤلف قواعده أو أكثرها من كتاب (بدائع الفوائد) لابن القيم ثم شرحها فأبدع فيه وأجاد؛ ولذا فإنه يدرس في دور الحديث باليمن وغيرها، وهذه التعليق المختصر من باب زيادة الفائدة، وفك بعض العبارات التي تحتاج توضيح، والله الموفق.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد وحسن الخاتمة.

كتبه أبو عبد الله المصنعي

١٤٢٢هـ اليمن / دماج

ت٧٧٧٨٢٤٦٤٣

****

تقديم لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فقد أطلعت على المؤلف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة العلامة أخونا الشيخ محمد بن صالح العثيمين، في الأسماء والصفات وسماه " القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى " وسمعته من أوله إلى آخره، فألفيته كتاباً جليلاً، قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، كما اشتمل على قواعد عظيمة وفوائد جمة في باب الأسماء والصفات، وأوضح معنى المعية الواردة في كتاب الله -عز وجل -الخاصة والعامة عند أهل السنة والجماعة، وأنها حق على حقيقتها، لا تقتضي امتزاجاً واختلاطاً بالمخلوقين، بل هو -سبحانه -فوق عرشه كما أخبر عن نفسه، وكما يليق بجلاله -سبحانه -وإنما تقتضي علمه واطلاعه وإحاطته بهم، وسماعه لأقوالهم وحركاتهم، وبصره بأحوالهم وضمائرهم، وحفظه وكلاءته لرسله وأوليائه المؤمنين، ونصره لهم، وتوفيقه لهم إلى غير ذلك مما تقتضيه المعية العامة والخاصة من المعاني الجليلة، والحقائق الثابتة لله -سبحانه -كما اشتمل على إنكار قول أهل التعطيل، والتشبيه، والتمثيل، وأهل الحلول والاتحاد، فجزاه الله خيراً، وضاعف مثوبته، وزادنا وإياه علماً وهدىً وتوفيقاً، ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

قاله ممليه الفقير إلى الله تعالى، عبد العزيز بن عبد الله بن باز سامحه الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

****

(١) وهو إمام الدنيا في زمانه، وكبير الدعوة السلفية بلا مدافعة. (ت ١٤٢٠)، وانظر ترجمته في كتاب: (الإيجاز في ترجمة الإمام ابن باز) رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف[(١)]

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليما[(٢)].

وبعد :

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى، وهي الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربو بيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته[(٣)].

---

(١) وهو فقيه الأمة وعلامة القصيم، وصاحب التحرير في العقيدة: أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان (عثيمين) من الوهبة من قبيلة بني تميم (١٣٤٧-١٤٢١)، انظر ترجمته في كتاب: (الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين).

(٢) ابتدأ الشيخ رحمه الله تعالى كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب الله عز وجل وفعل النبي صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل فقال : (... بسم الله الرحمن الرحيم) ... الخ (خ٧) (م ١٧٧٣) وهكذا سنة الأنبياء من قبله عليهم الصلاة والسلام كما ذكر الله عز وجل عن كتاب سليمان ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الآيات
ثم تلاها بخطبة الحاجة لما اشتملت عليه هذه الخطبة من حمد الله عز وجل وطلب العون منه والاستعاذة به من الشرور والشهادة بتوحيد الله عز وجل والشهادة برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما ليس في غيرها من الفواتح وقد سبق شرح هذه الخطبة مفصلاً في موضع آخر والحمد لله رب العالمين

(٣) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ... الواسطية

وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد[١] الثلاثة :توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فمنزلته في الدين عالية[٢]، وأهميته عظيمة، ولا يمكن أحد أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبده على بصيرة[٣]، قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا[٤]﴾[٥] وهذا يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة[٦].

فدعاء المسألة :أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسباً مثل أن تقول :يا غفور اغفر لي، و يا رحيم ارحمني .و يا حفيظ احفظني .ونحو ذلك[٧].

ودعاء العبادة :أن تتعبد لله تعالى بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة إليه؛ لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير، وهكذا.

---

(١) هو إفراد الله عز وجل بالربوبية و الألوهية والأسماء والصفات

(٢) أي: مكانته الرفيعة وأهميته العظيمة

(٣) انظر نحو هذا الكلام لابن القيم (المدارج ١/ ٩٧) وانظر أهمية العقيدة في الفتاوى (١٧/ ١٠٥)، الطحاوية (ص ٦٩)، الأسماء والصفات للأشقر (ص ٢٠) وغيرها

(٤) الأمر بالدعاء بها يتضمن الأمر بمعرفتها لأنه لا يمكن الدعاء بها إلا بعد معرفتها

(٥) الأعراف١٨٠

(٦) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة (البدائع / ٣/ ٣)

(٧) وهذا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الأحاديث الكثيرة في أدعيته.

ومن أجل منزلته هذه، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة[(١)] وبالباطل[(٢)] الناشئ عن الجهل[(٣)] أو التعصب[(٤)] تارة أخرى، أحببت أن أكتب فيه ما تيسر من القواعد، راجياً من الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، موافقاً لمرضاته، نافعاً لعباده[(٥)].

وسميته: (**القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى**).

****

---

(١) وهو كلام أهل السنة والجماعة.

(٢) وهو كلام أهل البدع والضلال

(٣) كما قال تعالى عن قوم موسى: ﴿قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي: بعظمة ربكم وحقوقه.
وقال نوح لقومه ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ وغيرها من الآيات التي تدل على أن أعظم أسباب الضلال هو الجهل فاحرص رحمك الله تعالى على العلم تنجو وتهتدي إن شاء الله تعالى .

(٤) وأكثر دواعي التعصب ضعف الوازع الديني والجهل بالحق

(٥) وقد فعل سبحانه وتعالى فنفع به العباد وإني أسأل الله الكريم ذلك في تعليقي هذا .

قواعد في أسماء الله تعالى[١]

القاعدة الأولى[٢] : أسماء الله[٣] تعالى كلها حسنى:

أي بالغة في الحسن غايته[٤]، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[٥] وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة[٦] لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديراً[٧].

---

(١) القواعد جمع قاعدة وهي في اللغة: الأساس الذي يبنى عليه .. اصطلاحاً : هي أصل كلي يبنى عليه عدة مسائل أو أحكام، والقاعدة تؤخذ من الأدلة من الكتاب والسنة كما ستراه إن شاء الله تعالى.

(٢) غالب هذه القواعد مأخوذ من البدائع ١/ ١٦٢-١٦٣

(٣) أسماء الله تعالى أعلام تدل على ذاته، تتضمن إثبات صفات الكمال المطلق لله عز وجل وتنزيهه عن كل عيب ونقص أ.هـ .

(٤) قال الشيخ رحمه الله تعالى في شرحه: معناه: التي ليس شيء وراءها في الكمال فتكون (غايته) بمعنى كماله.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: أسماء الله كلها كمال محض وله من الكمال أكمله فليس من الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي غيرها معناها. (البدائع ١/ ١٦٧) وانظر الفتاوى (٦/ ٧١).

(٥) الحسنى: جمع أحسن، انظر العواصم لابن الوزير (٧/ ٢٢٨).

(٦) قال ابن القيم: أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله .. فهي أسماء وهي أوصاف وبذلك كانت حسنى (المدارج ١/ ٣٦-٣٧) ولأن هذه الأسماء تدل على أكمل وأحسن مسمى وهو الله عز وجل. القواعد الكلية (١٠١).

(٧) الاحتمال: ما يحتمل النقص في بعض الحالات مثل " الماكر" فإن المكر لا يكون كمالاً إلا في حال، وليس على الإطلاق، فلا يصح أن يكون اسماً لله تعالى.

- (ولا تقديراً) وهو المشتق من الأفعال مثل: (النازل) من النزول و(الجائي) من المجيء، و(المتكلم)، و(المريد) ونحوها فلو كانت كاملة الحسن لسمى الله عز وجل بها نفسه.

مثال ذلك : (الحي[١]) اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال .الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم، والقدرة، والسمع، والبصر وغيرها.

ومثال آخر: "العليم[٢]" اسم من أسماء الله متضمن للعلم الكامل، الذي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾٣ .(العلم

= والألفاظ تنقسم إلى أربعة أقسام وهي:

١ - ألفاظ دالة على غاية الكمال وليس فيها نقص أبداً لا احتمالا ولا تقديراً وهذا هو الذي يسمى الله به كالأمثلة التي ضربها المؤلف.

٢- إما أن تدل على معنى ناقص لا كمال فيه كالعجز والفقر والعمى فهذا لا يجوز أن يسمى الله به فلا يسمى بالعاجز أو الفقير أو الخائن

٣ - ألفاظ تدل على النقص في حال وعلى الكمال في حال أي تحمل الوجهين في نفس المعنى مثل: المكر، الكيد، الاستهزاء فهذا لا يسمى الله به أيضاً فلا يقال: الماكر والمخادع والمستهزئ كما سيأتي في قواعد الصفات وهذا هو مراد المؤلف من لا احتمالا.

٤ - ألفاظ تدل على الكمال لكن تحمل النقص بالتقدير الذهني كالمتكلم، والمريد، والفاعل والشائي (الذي يشاء) .

مثاله: المتكلم قد يتكلم بخير وقد يتكلم بشر فلا يسمى الله به لأن أسماءه لا تحمل النقص ولو بالتقدير.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وأما الكلام والإرادة فلما كان جنسه ينقسم إلى محمود كالصدق والعدل وإلى مذموم كالظلم والكذب والله تعالى لا يوصف إلا بالمحمود دون المذموم جاء ما يوصف به من الكلام والإرادة في أسماء تخص المحمود كاسمه الحكيم والرحيم والصادق والمؤمن والشهيد والرؤوف والحليم والفتاح ونحو ذلك. (الأصفهانية ص ٥). أ.هـ

(١) دليله قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ .

(٢) دليله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٢.

الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً[١]، سواء ما يتعلق بأفعاله، أو أفعال خلقه، قال الله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ[٢]﴾﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ[٣]﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ[٤]﴾

ومثال ثالث" :الرحمن" اسم من أسماء الله تعالى متضمن للرحمة الكاملة، التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أرحم بعباده من هذه بولدها)[٥] يعني أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته، ومتضمن أيضاً للرحمة الواسعة التي قال الله عنها﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ[٦]﴾ وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً[٧]﴾.

---

(١) رد على الفلاسفة والقدرية ومن ضل كضلالهم في علم الله عز وجل الذي يقولون يعلم الكليات دون الجزئيات أو لا يعلم إلا بعد وقوع الفعل .. وكل هذا كفر والعياذ بالله تعالى ... وانظر الروضة الندية شرح الواسطية ص ٧١ وانظر الفتاوى (٩/ ٢٤٩)

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

(٣) سورة هود، الآية: ٦.

(٤) سورة التغابن، الآية: ٤.

(٥) (خ ٥٩٩٩) (م ٢٧٥٤) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٧) سورة غافر، الآية: ٧.

والحُسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال[1].

مثال ذلك " العزيز الحكيم". فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيراً .فيكون كل منهما دلاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم، والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم، فيظلم ويجور ويسيء التصرف .وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل.



(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : إذا اقترن اسم بآخر دل على صفة أخرى وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد ، العفو الغفور ، وهكذا عامة الأسماء المقترنة أو الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن فتأمله فإنه من أشرف المعارف / البدائع ١/ ١٦١ .

القاعدة الثانية[(١)] : أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف[(٢)]

أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني[(٣)]، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله –عز وجل –وبالاعتبار الثاني متباينة[(٤)] لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص فـ"الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم "كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير[(٥)]، وهكذا.

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف، لدلالة القرآن عليه .كما في يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ[(٦)] ﴾ وقوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ[(١)] ﴾ فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو

(١) انظرها في البدائع (١/ ١٦٢) القواعد الكلية (ص ٢٤٣) التنبيهات السنية ص ٢٠ وغيرها

(٢) أعلام جمع علم : وهو الاسم الدال على مسمى – وتقدم الكلام عليه – وأوصاف : جمع وصف (وصفات الله عز وجل : هي نعوت الجلال والكمال المطلق القائمة بذات الله عز وجل) وانظر الفتاوى ٣/ ٣٣٥ منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة (٢/ ٤٠٠)

(٣) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد ... البدائع ١/ ١٦٢ .

(٤) (مترادفة) متفقة في الدلالة على مسمى واحد.

(متباينة) مفترقة في المعنى واللفظ

(٥) قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : والله سبحانه وتعالى أخبر أنه عليم قدير سميع بصير ... إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته فنحن نفهم من ذلك ونميز بين العلم والقدرة وبين الرحمة والسمع والبصر ونعلم أن الأسماء كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله عز وجل مع تنوع معانيها فهي متفقة من حيث الذات مختلفة من حيث الصفات. الفتاوى ٣/ ٥٩.

(٦) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

المتصف بالرحمة .ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال :عليم إلا لمن له علم، ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر، وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل.

وبهذا عُلم ضلال من سَلَبوا(٢) أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل(٣) وقالوا :إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة وهكذا ..وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء(٤) .وهذه العلة عليلة(٥) بل ميتة لدلالة السمع والعقل على بطلانها.

أما السمع(٦) :فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة، مع أنه الواحد الأحد .فقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ *إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ *وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ *ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ *فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(٧)﴾ وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى *الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى *وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى *فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى(٨)﴾ ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء .

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

(٢) أي: نفوا

(٣) وهم الذين نفوا صفات الله عز وجل أو بعضها من الجهمية والمعتزلة و الأشاعرة والماتريدية والمفوضة ومن جرى مجراهم .

(٤) أي : تعدد الذوات القديمة مع الله عز وجل قالوا : إذا أثبتنا الصفات فقد أثبتنا لله عز وجل أكثر من ذات . أو أثبتنا مع الله عز وجل ذوات أخرى ومن المعلوم أن الله عز وجل لا نظير له ولا شريك في قِدمه – أي أزليته.

(٥) شديدة العلة وهو المرض والسقم

(٦) أي المسموع وهو الوحي – القرآن والسنة.

(٧) سورة البروج، الآيات: ١٢ – ١٦.

(٨) الأعلى

وأما العقل[١]: فلأن الصفات ليست ذوات بائنة[٢] من الموصوف، حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي من صفات من اتصف بها، فهي قائمة به، وكل موجود فلابد له من تعدد صفاته[٣]، ففيه صفة الوجود، وكونه واجب الوجود[٤]، أو ممكن الوجود[٥]، وكونه عيناً قائماً بنفسه[٦] أو وصفاً في غيره.

(١) الصحيح السليم من أمراض الشبه والأعراض قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح أ . هـ

(٢) أي منفصلة .

(٣) مثال " رجل من الناس : طويل و ذكي وعالم وتقي ... الخ...،فهل يقال أن هذا الرجل قد صار أربعة لوجود أربع صفات له ؟ الجواب لا يقال هذا .

(٤) أي : لازم وجوده وهو الله عز وجل لأن المخلوق لا بد له من خالق وأول من أطلق هذه التسمية على الله عز وجل هو ابن سيناء لا رحمه الله تعالى فكان الأولى العدول إلى لفظ آخر والله أعلم .

(٥) وهو المخلوق فوجوده ممكن وعدمه ممكن وهذا أيضاً من ذاك .

(٦) الذي يقوم بنفسه هو ما له ذات مستقلة عن غيرها مثال (الإنسان ، القلم ، الجبل وغيرها وهو عكس الوصف فإنه لا يقوم إلا بغيره فلا يمكن أن توجد صفة بلا موصوف).

فائدة : المضاف إلى الله قسمان

(أ) إضافة عين قائمة بنفسها وتسمى إضافة مخلوق إلى الخالق ونحوها مثال (روح الله) (بيت الله) (عبد الله) ونحوها وتكون للتشريف نحو " رسول الله " أو لغيره مثل " أرض الله "

(ب) إضافة وصف إليه سبحانه وتعالى وتسمى إضافة صفة إلى الموصوف مثال (يد الله) (علم الله) (نزول الله) ونحوها.

وبهذا أيضاً علم أن "الدهر" ليس من أسماء الله تعالى؛ لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى[١] يلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، قال الله تعالى عن منكري البعث﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ[٢]﴾ يريدون مرور الليالي والأيام.

فأما قوله صلى الله عليه وسلم: (قال الله –عز وجل :-يؤذيني ابن آدم يسب الدهر[٣]، وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)[٤] فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى؛ وذلك أن الذين يسبون الدهر إنما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث، لا يريدون الله تعالى، فيكون معنى قوله" :وأنا الدهر"ما فسره بقوله: (بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)، فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه، وقد بين أنه يقلب الليل والنهار، وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلِّب)بكسر اللام (هو المقلَّب) بفتحها وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مراداً به الله تعالى[٥].

(١) أي : صفة لأن الجامد لا تشتق منه صفة

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٣) ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى مفاسد سب الدهر

١ – سب من ليس يستحق السب.

٢ – أن سبه متضمن للشرك فإنما سبه لأنه ظن أنه يضر وينفع من دون الله سبحانه وتعالى.

٣- أن السب ربما يقصدون به من فعل تلك الأمور – وهو الله عز وجل – وهذا من عظيم الإلحاد. أ . هـ بتصرف الزاد ٢/ ٣٥٤ / الفتاوى ٢/ ٤٩٤.

(٤) (خ ٧٤٩١) (م ٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ويضاف إلى ما سبق أن الدهر عين قائم بذاته فتكون إضافته إلى الله عز وجل من باب إضافة المخلوق إلى الخالق أو بمعنى : إضافة ملك وتصرف . وشذ ابن حزم وغيره فعده من أسماء الله تعالى كما في المحلى في كتاب

القاعدة الثالثة[١]: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد[٢]، تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل. الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ[٣]﴾؛ لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

مثال ذلك: "السميع" يتضمن إثبات السميع اسماً لله تعالى، وإثبات السمع صفة لهن وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو أنه يسمع السر والنجوى كما قال تعالى: ﴿وَاللهُّ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ[٤]﴾

وإن دلت على وصف غير متعد[٥] تضمنت أمرين: أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

مثال ذلك: (الحي) يتضمن إثبات الحي اسماً لله – عز وجل – وإثبات الحياة صفة له.

الأيمان والنذور المجلد الثامن (٨/ ٣١) وارجع للباب: الفتاوى ٩/ ٢٩١ ، ٢/ ٤٩١ – ٤٩٥ / الفتح ٢/ ٥٧٥ مختصر الصواعق / ٢٥١ . وغيرها

(١) انظرها في البدائع (١/ ١٦٢)

(٢) أي: متعدٍ إلى الخلق وهو أن يكون الاسم مشتمل على صفة لها أثر في الخلق.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٤.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٥) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وإن كان لازماً (غير متعدٍ) لم يخبر عنه به نحو الحي بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل .البدائع / (١/ ١٦٢)

القاعدة الرابعة[١]: دلالة[٢] أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة[٣] وبالتضمن(٤) وبالالتزام[٥].

مثال ذلك: "الخالق" يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام[٦].

ولهذا لما ذكر الله خلق السموات والأرض قال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَـدِيرٌ وَأَنَّ اللهَّ قَـدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا[٧]﴾ ودلالة الالتزام مفيدة جداً لطالب العلم إذا تدبر المعنى[٨] ووفقه الله تعالى فهماً للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة[١].

---

(١) انظرها بتوسع القواعد الكلية ص ٢٤٠

(٢) ويقال الدليل وهو ما يستدل به ، والمعنى أنه يستدل بالاسم على الذات والصفات بهذه الطرق الآتية

(٣) وهي انطباق اللفظ على المعنى – أو هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من معنى - ويعرف ذلك بأن يستغرق جميع أجزاء اللفظ الداخلة تحته .

(٤) التضمن: دلالة اللفظ على جزء مما وضع له.

(٥) دلالة اللفظ على ما يلزم عليه من خارج اللفظ ـ اعلم رحمك الله تعالى أن مسألة اللازم ليست على إطلاقها فلا بد أن يقيد اللازم بما ذكره الشيخ وبما لا يخالف الشرع؛ حتى لا تؤدي به دلالة الالتزام إلى الباطل، كأن يقول: الله سميع يلزم منه أن تكون له أذن ... ونحو ذلك ، فهذا لازم باطل.

(٦) لا يستطيع أن يخلق إلا من عنده علم بكيفية الخلق وكذا قدره عليها، فإذا قلنا الله عز وجل خالق : يلزم منه أن يكون حياً وعالماً وقادراً ومريداً .

(٧) سورة الطلاق، الآية: ١٢ .

(٨) من فوائدها: ١- الاستدلال على عدة مسائل بدليل واحد

٢- استنباط الأحكام من الأدلة

٣- رد اللوازم الباطلة من أقوال المبتدعة وغيرهم.

٤- قوة إفحام الخصم عند المناظرة . والله أعلم.

واعلم أن اللازم من قول الله تعالى، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، إذا صح أن يكون لازمـاً فهو حق؛ وذلك لأن كلام الله ورسوله حق، ولازم الحق حق، ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازماً من كلامه وكلام رسوله فيكون مراداً.

وأما اللازم من قول أحدٍ سوى قول الله ورسوله ، فله ثلاث حالات:

الأولى :أن يذكر للقائل ويلتزم به، مثل أن يقول من ينفي الصفات الفعلية لمن يثبتها: يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله – عز وجل– أن يكون من أفعاله ما هو حادث[٢]. فيقول المثبت: نعم، وأنا ألتزم بذلك فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد، ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً[٣] ﴾ وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[٤] ﴾ وحدوث آحاد فعله تعالى لا يستلزم نقصاً في حقه.

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: أسماء الله كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر فالعزيز يدل على نفسه مع عزته ... ونفسه تستلزم جميع صفاته فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بالمطابقة وعلى أحدهما بالتضمن وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم . أ.هـ الإيمان/ ١٧٥ .

(٢) الأولى لكل من جيء إليه بكلام محتمل للحق والباطل أن يطلب التفصيل كما هنا يقول : إن كنت تريد بـ (حادث) مخلوق فهذا اللازم باطل لمخالفته للكتاب والسنة وسلف الأمة، وإن تريد أنه متجدد فهذا حق .والله أعلم .

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

الحال الثانية :أن يذكر له ويمنع اللازم بينه وبين قوله، مثل أن يقول النافي للصفات لمن يثبتها: يلزم من إثباتك أن يكون الله تعالى مشابهاً للخلق[١] في صفاته .فيقول المثبت :لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به، كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله تعالى ذاتاً وتمنع أن يكون مشابهاً للخلق في ذاته، فأي فرق بين الذات والصفات[٢]

وحكم اللازم في هاتين الحالتين ظاهر.

الحال الثالثة :أن يكون اللازم مسكوتاً عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع، فحكمه في هذه الحال ألا ينسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبين له لزومه وبطلانه أن يرجع عن قوله؛ لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم.ولورود هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأن لازم القول قول.

فإن قيل: إذا كان هذا اللازم لازماً من قوله، لزم أن يكون قولاً له، لأن ذلك هو الأصل، لاسيما مع قرب التلازم.

قلنا: هذا مدفوع بأن الإنسان بشر، وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن اللازم، فقد يغفل، أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه، ونحو ذلك.



(١) كان الأولى أن يعبِّر بالمماثلة لأنها الواردة في القرآن كما بينه رحمه الله تعالى في الواسطية عند قوله " ولا تمثيل " فراجعه.

(٢) وسيأتي إشباع هذا الموضوع في قواعد الاستدلال القاعدة الرابعة.

القاعدة الخامسة[١] : أسماء الله تعالى توقيفية[٢] ، لا مجال للعقل فيها[٣]:

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿ :وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً[٤]﴾، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه، جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص.

****

(١) انظر البدائع (١/ ١٦٢) القواعد الكلية ص ١٢٩

(٢) أي: نتوقف عن إثباتها حتى ينص على ثبوتها دليل صحيح واتفق أهل السنة والجماعة على أن الأسماء والصفات لا تثبت إلا بالكتاب والسنة. التمهيد (٧/ ١٤٥).

وسيأتي تفصيل هذا في القاعدة الأولى من قواعد الاستدلال.

(٣) قال اللالكائي رحمه الله تعالى: وجوب معرفة الله تعالى وصفاته بالسمع لا بالعقل. شرح أصول أهل السنة ٢/ ١٩٣

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

القاعدة السادسة :أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين[(١)]:

لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور : (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك) . الحديث رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح[(٢)].

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن لأحدٍ حصره، ولا الإحاطة به.

فأما قوله صلى الله عليه وسلم : (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها [(٣)]دخل الجنة)[(٤)]، فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة" إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة" أو نحو ذلك.

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد فإن الله عز وجل له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب. البدائع ١/ ١٦٦ .

(٢) (حسن) المسند (١/ ٣٩١/ ٤٥٢) والمستدرك (١/ ٥٠٩) وابن حبان (٩٧٢) وأبو يعلى (٥٢٩٧) . وغيره من طريق فضيل بن مرزوق حدثنا أبو سلمه الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود به مطولاً . قال الذهبي : أبو سلمه لا يدري من هو ، وقال الحسيني : مجهول وعبد الرحمن أثبت سماعه من أبيه الثوري وابن المديني والمثبت مقدم على النافي وتوبع أبو سلمه بمن لا يفرح به وهو عبد الرحمن بن إسحاق وهو منكر الحديث (كشف الأستار / ٣١٢٢) وله شاهد عن أبي موسى رضي الله عنه عند ابن السني (٣٣٩) من طريق عبد الله بن زيد – أو زبيد – وهو مجهول حال، فالحديث حسن لغيره وصححه العلامة الألباني (الصحيحة / ١٩٩) وغيره.

(٣) أي حفظها وفهم معانيها وعمل بمقتضاها ودعا الله عز وجل بها / البدائع ١/ ١٦٤ / شرح السنة ١/ ٣١.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (خ ٢٧٣٦/ ٦٤١٠) (م ٢٦٧٧).

إذن فمعنى الحديث :أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة، وعلى هذا فيكون قوله: "من أحصاها دخل الجنة" جملة مكملة لما قبلها، وليست مستقلة، ونظير هذا أن تقول : عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة.

ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في "الفتاوى" ص٣٨٣ جـ ٦ من "مجموع ابن قاسم" :تعيينها ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بحديثه، وقال قبل ذلك ص ٣٧٩ : إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه .أهـ. وقال ابن حجر في "فتح الباري" ص 215 جـ 11 ط السلفية: ليست العلة عند الشيخين البخاري ومسلم، تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه واحتمال الإدراج .أهـ.

ولما لم يصح تعيينها عن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف السلف فيه، وروي عنهم في ذلك أنواع . وقد جمعت تسعة وتسعين اسماً مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فمن كتاب الله تعالى:

الله	الأحد	الأعلى	الأكرم	الإله	الأول
والآخر	والظاهر	والباطن	البارئ	البر	البصير

فائدة: قال النووي في شرح مسلم: اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث: أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء أ.هـ

(١) رواه الترمذي (ت ٣٥٠٧) وغيره وضعفه الشيخ الألباني والشيخ مقبل رحمهما الله تعالى.

التواب	الجبار	الحافظ	الحسيب	الحفيظ	الحفي[١]
الحق	المبين	الحكيم	الحليم	الحميد	الحي
القيوم	الخبير	الخالق	الخلاق	الرؤوف	الرحمن
الرحيم	الرزاق	الرقيب	السلام	السميع	الشاكر
الشكور	الشهيد	الصمد	العالم/ العلام[٢]	العزيز	العظيم
العفو	العليم	العلي	الغفار	الغفور	الغني
الفتاح	القادر	القاهر[٣]	القدوس	القدير	القريب
القوي	القهار	الكبير	الكريم	اللطيف	المؤمن
المتعالي	المتكبر	المتين	المجيب	المجيد	المحيط[٤]
المصور	المقتدر	المقيت[٥]	الملك	المليك	المولى

(١) استدل الشيخ بقوله تعالى عن إبراهيم ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ وقال: وهذا في الحقيقة فيه شيء من التردد لأنه قد يقال إنه من الأفعال وليس من الأسماء.

(٢) يستدل على الأول بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ وعلى الثاني بقوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

(٣) استدل بالآية: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وليس صريحا كسابقه (العالم).

(٤) استدل بقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ وهذا غير صريح كما سبق.

(٥) دليله: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ وهذا غير صريح كما سبق.

المهيمن النصير الواحد الوارث[١] الواسع الودود

الوكيل الولي الوهاب

ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢]:

الجميل، الجواد، الحكم ،الحيي ، الرب ، الرفيق، السبوح، السيد الشافي الطيب القابض الباسط المقدم المؤخر المحسن المعطي المنان الوتر[٣].

هذا ما اخترناه بالتتبع، واحد وثمانون اسماً في كتاب الله تعالى وثمانية عشر اسماً في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان عندنا تردد في إدخال (الحفي)؛ لأنه إنما ورد مقيداً في قوله تعالى عن إبراهيم﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّا[٤] ﴾ وما اخترناه فهو حسب علمنا وفهمنا وفوق كل ذي علم عليم حتى يصل ذلك إلى عالم الغيب والشهادة ومن هو بكل شيء عليم[٥].

---

(١) دليله: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ وهذا غير صريح كما سبق.

(٢) ومن أسماء الله عز وجل الثابتة : الرازق وذو الجلال والإكرام.

(٣) سيأتي ذكر الأدلة.

(٤) سورة مريم، الآية: ٤٧ .

(٥) قد أفردناها بكتاب مستقل .

الأسماء من السنة:

- الجميل: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم (إن الله جميل يحب الجمال) رواه مسلم (٩١) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

معناه: الجميل كثير الحسن

(فهو الجميل في ذاته سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله فله الجمال المطلق .)

- الجواد : قال صلى الله عليه وسلم (إن الله جواد يحب الجود) .

معناه : الكريم الموصوف بالجود الذي عم جوده ونعمة ورحمته جميع الوجود وخص المؤمنين بالعطاء الأوفر والصلاح والإيمان بحسب ما تقتضيه حكمته سبحانه .

- الحيي: لحديث (إن الله حيي كريم ..(٥).

- الرب : وقد ورد في القرآن: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (فأما الركوع فعظموا فيه الرب ...) رواه مسلم عن ابن عباس (٤٧٩) .

معناه: هو الخالق المالك السيد الذي ليس له مثيل ولا نظير المربي جميع (عباده بالتدبير وأصناف النعم وربى أولياءه بإصلاح قلوبهم ودينهم وآخرتهم .

الرفيق: قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله رفيق يحب الرفق) (خ ٦٩٢٧) (م ٢٥٩٣).

معناه: هو الذي يرفق بعباده ويلطف بهم وييسر أمورهم ويصلح أحوالهم .

- السبوح: كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده (سبوح قدوس رب الملائكة والروح) . رواه مسلم من حديث عائشة (م ٤٨٧) .

معناه: المنزه المقدس المبرأ عن كل عيب ونقص لما له من الكمال التام (والغنى المطلق والعظمة والجلال سبحانه.

- السيد: قال صلى الله عليه وسلم (السيد الله تعالى) من حديث عبدالله بن الشخير

معناه: الذي له السيادة والملك الكامل والرفعة والفضل .

- الطيب: قال عليه الصلاة والسلام (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً) رواه مسلم (١٠١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

معناه: هو المنزه عن النقائص والشوائب يحب الطيب الطاهر ولا يقبل إلا طيباً

- الشافي: قال صلى الله عليه وسلم : اللهم اذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي) متفق عليه . (خ ٥٦٧٥) (م ٢١٩١) عن عائشة رضي الله عنها .

معناه: الذي يعافي ويبرأ عباده من الأمراض والأسقام بقدرته سبحانه ويعافي المؤمنين من الخطايا والذنوب بحسب ما تقتضيه حكمته سبحانه.

-القابض الباسط: قال صلى الله عليه وسلم (إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق..

معناه: الذي يمسك وينشر الرزق وغيره على العباد فيوسع على من يشاء ويقدر (على من يشاء بعدله وحكمته.

– المقدم المؤخر: قال صلى الله عليه وسلم (أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله (إلا أنت) رواه مسلم من حديث علي (٧٧١)

– المحسن: قال صلى الله عليه وسلم (إن الله محسن يحب المحسنين) رواه أبو نعيم وغيره عن أنس رضي الله عنه.

ومعناه: ذو الإحسان التام فهو بمعنى الكريم والمعطي .

– المعطي: لحديث معاوية عند البخاري (٣١١٦) مرفوعا (والله المعطي وأنا قاسم).

معناه: الذي يمن على عباده بالعطاء والرزق وأعطى المؤمنين الصلاح والإيمان وهو الكريم الجواد .

– المنان: لحديث (إن رجلاً دعا فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا اله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ...) فقال صلى الله عليه وسلم: (لقد دعا الله باسمه الأعظم...) من حديث أنس رضي الله عنه.

معناه: الذي مَنّ على عباده بالرزق والحياة والنعم الكثيرة من غير طلب عوض (منهم ومن على المؤمنين بالإيمان والخير والصلاح)

– الوتر: قال صلى الله عليه وسلم (إن الله وتر يحب الوتر...) متفق عليه (٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(معناه: الذي لا ثاني له الأحد الذي لا شريك له ولا نظير ولا مثيل سبحانه).

تم ولله الحمد والمنة.

القاعدة السابعة[1] : الإلحاد[2] في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها

وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئاً منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية[3] وغيرهم .وإنما كان ذلك إلحاداً لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني : أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه[4]، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث : أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له : الأب، وتسمية الفلاسفة إياه: العلة الفاعلة، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالى عنها.

الرابع : أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله، على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم؛ وذلك لأن أسماء الله تعالى

---

(١) انظر البدائع (١/ ١٦٩)

(٢) لغة: الميل ومنه اللحد وهو الشق المائل في القبر اصطلاحاً: الإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها / البدائع (١/ ١٦٩)

(٣) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن أعظم الإلحاد في أسمائه إنكار حقائقها ومعانيها والتصريح بأنها مجازات. أ .هـ مختصر الصواعق / ٢٩٧

(٤) وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فمن شبه الله تعالى بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته أ .هـ الفتاوى ١٢/ ٢٤٤

مختصة به، لقوله تعالى: ﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا(١)﴾ وقوله: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَ(٢) ﴾ وقوله: ﴿ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ(٣) ﴾فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحق، وبأنه يسبح له ما في السموات والأرض فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله –عز وجل(٤) –ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم؛ لأن الله تعالى هدد الملحدين بقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٥)﴾

ومنه ما يكون شركاً أو كفراً(٦) حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

****

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) سورة طه، الآية: ٨.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

(٤) لا يجوز التسمي بأسماء الله عز وجل في حالات منها ما ذكره الشيخ ومنها:

أ- لفظ الجلالة "الله" وكذا " الرحمن ".

ب- ما كان مركباً نحو " أرحم الرحمين " والله أعلم.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٦) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى : الإلحاد منه ما هو كفر ومنه ما هو بدعة بحسب ما ذكرنا فالحالة الأخيرة وهي ادعاء المجاز في الأسماء والصفات بدعة والإلحاد لا يصل بأصحابه إلى الكفر، أما نفي وإنكار وجحد الأسماء والصفات فهذا كفر كحال الجهمية والنصارى ومشركي العرب أ . هـ التمهيد شرح كتاب التوحيد ص ٥٠٨ وانظر النونية ٢/ ٢٥١ / المدارج ١/ ٣١/ الصواعق / ٢٩٧ .

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى :صفات الله تعالى كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه،

كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك .وقد دل على هذا السمع، والعقل، والفطرة.

أما السمع : فمنه قوله تعالى: ﴿ :لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَللهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[1]﴾ والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى[2].

وأما العقل : فوجهه أن كل موجود حقيقة، فلابد أن تكون له صفة . إما صفة كمال، وإما صفة نقص . والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة[3]؛ ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ[4]﴾ وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ❋أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾، وعلى

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٠.

(٢) والمثل الأعلى أعم فلله عز وجل الكمال المطلق في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. انظر الصواعق (١٠٣٠-١٠٣٦) الطحاوية / ١٣٨ .

(٣) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وهل كان الله رب العالمين أهل الثناء والمجد إلا بأوصاف كماله ونعوت جلاله و أفعاله وأسمائه الحسنى

قال عليه الصلاة والسلام (لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك) أ . هـ

مختصر الصواعق / ١٣٠

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٥.

قومه: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ *أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ[١]﴾

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به[٢].

وأما الفطرة[٣] : فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته[٤]؟

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى كالموت والجهل، والنسيان[٥]، والعجز، والعمى، والصمم ونحوها؛؛لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ[٦]﴾ وقوله عن موسى: ﴿فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى[٧]﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٦، ٦٧.

(٢) ويسمى هذا قياس الأولى ، والحق أنه ثابت.

(٣) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : الفطرة هي : السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة / الفتاوى ٤/ ٢٤٥

(٤) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : هؤلاء – يعني المعطلة والممثلة - يُكرهون فطرهم وعقولهم على قبول المحال المتناقض أ . هـ الفتاوى (٤/ ٦١)

(٥) النسيان بمعنى الترك ثابت لله تعالى قال سبحانه: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ والنسيان بمعنى الذهول والغفلة منفي عن الله عز وجل وهذا مراد الشيخ.

وانظر مجموع فتاواه ١/ ١٧١ – ١٧٤

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٧) سورة طه، الآية: ٥٢.

شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ[(١)]﴾ قوله: ﴿أَم يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ[(٢)]﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الدجال: (إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور) وقال: (أيها الناس، اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَ، ولا غائبا).

وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص، كما في قوله تعالى: ﴿وقالت الْيهودُ يَدُ اللهَّ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاء[(٣)]﴾ قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُّ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائض، فقال سبحانه: ﴿سبحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ *وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ[(٤)]﴾ وقال تعالى: ﴿ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ[(٥)]﴾

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصاً في حال، لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تثبت له إثباتاً مطلقاً، ولا تنفى عنه نفياً مطلقاً بل لابد من التفصيل: فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها . فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها؛ لأنها حينئذ

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٤) سورة الصافات، الآيات: ١٨٠ – ١٨٢.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله[١] أو أشد، وتكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ[٢]﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً *وَأَكِيدُ كَيْداً[٣]﴾ وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ*وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ[٤]﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ[٥]﴾ وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ *اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ[٦]﴾

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ[٧] ﴾ فقال : ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾، ولم يقل :فخانهم؛ لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذم مطلقاً.

وبذا عرف أن قول بعض العوام " خان الله من يخون" منكر فاحش، يجب النهي عنه.

****

(١) انظر مختصر الصواعق (٢/ ٣٠-٣٥) البدائع (١/ ١٦٢) المدارج ٣/ ٤١٥/ الفتاوى ٧/ ١١١ وغيرها .

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الطارق، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ١٨٢، ١٨٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٦) سورة البقرة، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٧١.

القاعدة الثانية :باب الصفات أوسع من باب الأسماء[١]:

وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[٢]﴾

ومن أمثلة ذلك : أن من صفات الله تعالى المجيء، والإتيان، والأخذ والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[٣] وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ[٤]﴾ وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ[٥]﴾ وقال: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ[٦]﴾ وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ[٧]﴾ وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ[٨]﴾

---

(١) أي الصفات أكثر من الأسماء لأمور:

١- لأن كل اسم تشتق منه صفة ولا عكس -٢- لأن الصفات تأتي مصرح بها دون اسم نحو " يد الله ".

٣- لأنها تشتق من الأفعال والأسماء لا تشتق منها . البدائع (١/ ٢٤) المدارج (٣/ ٤١٥) وانظر القاعدة السابعة الآتية.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١.

(٦) سورة الحج، الآية: ٦٥.

(٧) سورة البروج، الآية: ١٢.

(٨) ـ سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا).

فنَصِفُ الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها(١)، فلا نقول إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به(٢).



(١) لأنها تحتمل النقص تقديراً كما تقدم في القاعدة الأولى من الأسماء، وانظر البدائع (١/ ١٦٢) القواعد الكلية ص ٢٥١- ٢٥٨

(٢) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ولا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق منه اسماً كما فعل بعض المتأخرين فجعل من أسماء الله المضل والقانت .. البدائع / ١/ ١٦٢ ومما ينبغي التنبيه عليه أن باب الإخبار توقيفي ومن قال بغير هذا لم يأت بدليل .

القاعدة الثالثة[١] :صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين :ثبوتية، وسَلْبية:

فالثبوتية : ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه[٢]، كالحياة والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة[٣] على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل.

أما السمع : فمنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً[٤]﴾

فالإيمان بالله يتضمن : الإيمان بصفاته . والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله . وكون محمد صلى الله عليه وسلم رسوله يتضمن :الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله –عز وجل.

وأما العقل : فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد، فإن التردد في الخبر إنما يتأتي حين

(١) وانظر القواعد الكلية ص ١٥٩ والتدمرية ص ٢٣ البدائع ١/ ١٦٦

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى " الكمال ثابت لله عز وجل بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية. الفتاوى (٦/ ٧١) البدائع (١/ ١٦٧-١٦٨)

(٣) أخرج المجاز وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : وقد اتفق أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة عليم حقيقة قدير حقيقة ... الخ الفتاوى ٥/ ١٩٦

(٤) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

يكون الخبر صادراً ممن يجوز عليه الجهل، أو الكذب، أو العي بحيث لا يفصح بما يريد، وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله –عز وجل –فوجب قبول خبره على ما أخبر به(١).

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه وأصدقهم خبراً وأنصحهم إرادة، وأفصحهم بياناً، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه.

والصفات السَّلبية : ما نفاها الله –سبحانه – عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات نقص في حقه كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب.

فيجب نفيها عن الله تعالى –لما سبق –مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده، لا لمجرد نفيه؛ لأن النفي ليس بكمال، إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم(٢)، والعدم ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له، فلا يكون كمالاً(٣) كما لو قلت : الجدار لا يظلم .وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصاً، كما في قول الشاعر:

---

(١) وسيأتي مزيد بيان في قواعد الاستدلال .

(٢) النفي نوعان – أ – نفي محض : وهو ما لا يتضمن إثبات ضده – ب- نفي غير محض : وهو ما تضمن إثبات ضده بدلالة منه.

فالأول لا يوصف الله تعالى به مطلقاً ولا يصح وصفه به، والثاني هو الذي يصح استخدامه في نفي النقائص عن الله عز وجل. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : فكل سلب في القرآن حمد الله به نفسه فلمضادته لثبوت ضده ولتضمنه كمال ثبوت ضده. المدارج ١/ ٢٧

(٣) وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: وإذا تأملت كل نفي لا يستلزم ثبوتاً هو مما لم يصف الله تعالى به نفسه، فالذين لا يصفون الله إلا بالسَّلب لم يثبتوا في الحقيقة إلها محموداً بل ولا موجوداً. التدمرية / ٥٩

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوى حسب ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

* مثال ذلك :قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوت﴾ (١).

فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر : قوله تعالى: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

مثال ثالث : قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ(٢)﴾ نفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته .ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً(٣) ﴾ لأن العجز سببه إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنهن فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

****

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٤٤.

القاعدة الرابعة : الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال(١) ، فكلما كثرت(٢) وتنوعت دلالتها(٣) ظهر من كمال الموصوف بها(٤) ما هو أكثر.

ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية، كما هو معلوم(٥). أما الصفات السلبية فلم تذكر غالباً إلا في الأحوال التالية:

الأولى : بيان عموم كماله كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٦)﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ(١)﴾

---

(١) كل صفة بمفردها تعتبر مدحاً وكمالاً

(٢) وصفات الله عز وجل لا تحصر بعدد معين كما تقدم آنفاً في القاعدة الثانية وبهذا نعلم أننا لن نستطيع الإحاطة بكمال الله عز وجل وصفاته كما قال صلى الله عليه وسلم " لا أحصي ثناءً عليك " واعلم أن الصفات إذا جمعت في مكان واحد دلت على كمال فوق الكمال الحاصل لكل واحدة بمفردها، والله أعلم .

(٣) أي ما دلت عليه من المعاني.

(٤) قال الشيخ في شرحه: انتبه لكلمة (ظهر من كمال الموصوف) ولم نقل : حصل للموصوف لأن هذا حاصل فكمال الله عز وجل حاصل سواءً علمناه أم لم نعلمه لكن كلما تعددت ظهر لنا من صفات كماله ما لم يكن من قبل لكن لو قلت : لأنه كلما كثرت وتنوعت حصل للموصوف من الكمال ما لم يحصل من قبل صار هذا بالنسبة لصفات الله عز وجل غير سديد بل نقول : ظهر .. أ . هـ لأن صفات الله عز وجل أولية كذاته تعالى.

(٥) وذلك لأن الصفات الثبوتية تذكر مفصلة في الغالب لما فيها من المدح ، وقد تذكر مجملة نحو قوله تعالى: ﴿وَلله المَثَلُ الأَعْلَى﴾ وذلك لتعميم كماله سبحان في جميع صفاته وأفعاله ونفي النقص بجميع أشكاله. أما النفي لصفات النقص فالأصل أنه يأتي مجمل نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي: في ذاته وصفاته وأفعاله، وقد يأتي مفصلاً لأمرين قد ذكرهما الشيخ (في الثانية والثالثة).

وانظر: الفتاوى ٥/ ١٩٧ مختصر الصواعق ١/ ١٥٦-١٥٧، القواعد الكلية / ١٥٢/ أصول الدين عند أبي حنيفة / ٢٩٦ وغيرها

(٦) سورة الشورى، الآية: ١١.

الثانية : نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً *وَمَا يَنْبَغِي لِلـرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً[٢]﴾

الثالثة : دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، كما في قوله: ﴿وَمَـا خَلَقْنَـا السَّـمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ[٣]﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّـامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ[٤]﴾.

****

(١) سورة الإخلاص، الآية: ٤.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٩١، ٩٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٦.

(٤) سورة ق، الآية: ٣٨.

القاعدة الخامسة : الصفات الثبوتية[١] تنقسم إلى قسمين : ذاتية وفعلية.

فالذاتية[٢] : هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، ومنها الصفات الخبرية، كالوجه، واليدين، والعينين.

والفعلية[٣]: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين، كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً . وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء[٤] كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[٥] ﴾وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته، وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها

(١) أي: الثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

(٢) وهي: نوعان ١) العلم والقدرة والحكمة والسمع والبصر ونحوها، ٢) خبرية كالوجه واليَدّ والساق والعينين والأصابع والحقو والساعد والقدم، هذه هي الصفات الخبرية الواردة في الكتاب والسنة، فيما يحضرني الآن وسميت خبرية لأنه لا يمكن إثباتها لله عز وجل إلا بالوحي (الخبر) ولا مدخل للعقل في إثباتها.

(٣) وهي نوعان ١) متعدية: أي: تشتمل على فعل يعامل به الله تعالى الخلق كالرحمة والمحبة. ٢) غير متعدية كالنزول والاستواء والمجيء ونحوها.

فائدة : الفرق بين الذاتية والفعلية:

- الذاتية لا تتعلق بالمشيئة، والفعلية متعلقة بالمشيئة.

(٤) وهكذا سائر الصفات الفعلية الذاتية كالضحك والغضب والرضا والحب والسخط والرحمة ونحوها والله أعلم.

(٥) سورة يس، الآية: ٨٢.

لكننا نعلم علم اليقين أنه – سبحانه – لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق للحكمة ، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً[(١)]﴾.

****

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

القاعدة السادسة[١] : يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل. والثاني: التكييف.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[٢]﴾ وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ[٣]﴾ وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً[٤]﴾ وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ[٥]﴾

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات؛ لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني: أن يقال :كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق؟ !فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً[١].

---

(١) البدائع ١/ ١٦٥-١٦٦

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٧.

(٤) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٥) سورة الإخلاص، الآية: ٤.

الثالث : أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يداً ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم، فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة(٢).

والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن (٣) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

---

(١) قال الله عز وجل: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ولعن الله اليهود والنصارى الذين مثلوا الخالق بالمخلوق كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ والآيات في ذم من مثّل الخالق بالمخلوق كثيرة.

(٢) وسيأتي أيضاً ردود في القاعدة الرابعة من قواعد الاستدلال.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فمن ظن أن أسماء الله تعالى وصفاته إذا كانت حقيقية لزم أن يكون مماثلاً للمخلوقين وأن صفاته مماثلة لصفاتهم كان من أجهل الناس وكان أول كلامه سفسطة وآخره زندقة .. أهـ الفتاوى ٥/ ٢١٢

(٣) وقال شيخ الإسلام: ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه لأن التمثيل نفاه الله تعالى بنص كتابه حيث قال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وكان أحب إلي من لفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإن كان قد يعني به معنى صحيحاً كما قد يعني به معنى فاسداً. أ . هـ المراد من الفتاوى ٣/ ١٦٦/ (٦/ ١١٣)، وانظر: البدائع (١/ ١٧٠).

وأما التكييف : فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل

وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً[(١)]﴾ وقوله: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً[(٢)]﴾ ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا؛ لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفواً لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله – عز وجل – فوجب بطلان تكييفها.

وأيضاً فإننا نقول :أي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟

إن أي كيفية تقدرها في ذهنك، فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذباً فيها؛ لأنه لا علم لك بذلك.

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديراً بالجنان، أو تقديراً باللسان، أو تحريراً بالبنان[١]. ولهذا لما سئل مالك -رحمه الله تعالى- عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى[٢]﴾ كيف استوى؟ أطرق[٣] رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء[٤]) العرق (ثم قال" : الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول[٥]، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) [٦].

روى عن شيخه ربيعة أيضاً (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول)[٧].

وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان[٨] .وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي فوجب الكف عنه.

---

(١) أي إشارة، وقد ناقش مسألة الإشارة ابن القيم بتوسع في البدائع. والذي يظهر هو الجواز إذا أمنت الفتنة أو توهم التمثيل من الناظر والله أعلم.

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) أي: نظر إلى الأرض.

(٤) العرق ، تعظيمًا لله عز وجل . والله أعلم .

(٥) قال ابن القيم رحمه الله تعالى معنى قول السلف (بلا كيف) أي بلا كيف يعقله البشر فإنه من لا تعلم كيفية ذاته كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته ؟ .. المدارج / ٣/ ٣٧٦

(٦) رواه اللاكائي (٦٦٤) والدارمي في الرد على الجهمية (٣٣) وغيرها وسنده صحيح .

(٧) أخرجه اللالكائي (٦٦٥) وابن قدامة في صفة العلو (٩٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٨) وغيرهم وهو صحيح عنه وقد جاء عن أم سلمه موقوفاً ومرفوعاً . ولا يثبت ذلك

(٨) قال شيخ الإسلام : وجميع أئمة الدين كابن الماجشون والأوزاعي والليث وحماد بن زيد والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم كلامهم يدل على ما دل عليه كلام مالك من أن العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا لأن

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك(١)، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٢)﴾.

****

العلم بكيفية الصفات فرع عن العلم بكيفية الموصوف فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته أمتنع أن تعلم كيفية الصفة / الفتاوى (٦/ ٣٩٩)

(١) ورد في إثبات اسم الطبيب لله تعالى عند أبي داود (٤٢٠٧) وغيره عن أبي رمثة رضي الله عنه وصححه الألباني والوادعي، وانظر الجامع للوادعي (٦/ ٣٥٢).

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

القاعدة السابعة : صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها[١].

فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث"[٢] انظر القاعدة الخامسة في الأسماء.

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة كالعزة، والقوة، والرحمة، والبطش، والوجه، واليدين ونحوها.

الثاني : تضمن الاسم لها مثل :الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك (انظر القاعدة الثالثة في الأسماء).

الثالث : التصريح بفعل أو وصف دال عليها كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين، الدال عليها – على الترتيب – قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى[٣]﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا إلى

---

(١) (القاعدة السابعة) البدائع ١/ ١٦٢.

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٥٢) (٣/ ٣٢٦)، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرٍ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ غِيَاثٍ، ثنا حَنْبَلٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: (نَعْبُدُ اللهَ بِصِفَاتِهِ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، قَدْ أَجْمَلَ الصِّفَةَ لِنَفْسِهِ، وَلَا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، فَنَقُولُ كَمَا قَالَ وَنَصِفُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَلَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ...) وهو عند الخلال (٣٥) عن عبد الله عن حنبل به، وذكره ابن قدامه في كتابه ذم التأويل (رقم ٣٣/ ص٢٢). وعبد الله لم أقف عليه.

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

السماء الدنيا) . الحديث[١] وقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً[٢]﴾ وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾.

****

(١) متفق عليه ، وسيأتي.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

قواعد في أدلة الأسماء والصفات

القاعدة الأولى[١] :الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته، هي :كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما.

وعلى هذا فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب أو السنة وجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه، مع إثبات كمال ضده[٢]، وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه فلا يثبت ولا ينفى لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

وأما معناه فيفصل فيه، فإن أريد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول . وإن أريد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده.

فمما ورد إثباته لله تعالى : كل صفة دل عليها اسم من أسماء الله تعالى دلالة مطابقة، أو تضمن، أو التزام.

ومنه كل صفة دل عليها فعل من أفعاله كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها فضلاً عن أفرادها ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[٣]

ومنه :الوجه، والعينان، واليدان ونحوها.

---

(١) تقدم ذكر القاعدة بلفظ أسماء الله تعالى توقيفية، وكذا صفات الله عز وجل توقيفية.

(٢) انظر نحو هذا الكلام في الفتاوى (٣/ ٣) وانظر معارج القبول ١/ ٣٣٠-٣٣١ / منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة ٢/ ٤٥٣ / القواعد الكلية / ١٢٩ - ١٣٧ وغيرها.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

ومنه الكلام، والمشيئة، والإرادة بقسميها :الكوني، والشرعي. فالكونية بمعنى المشيئة، والشرعية بمعنى المحبة(١).

ومنه الرضا، والمحبة، والغضب، والكراهة ونحوها.

ومما ورد نفيه عن الله سبحانه لانتفائه وثبوت كمال ضده :الموت، والنوم، والسنة، والعجز، والإعياء، والظلم، والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثيل أو كفؤ ونحو ذلك.

ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ (الجهة)(٢) فلو سأل سائل هل نثبت لله تعالى جهة؟

---

(١) الفرق بين الإرادتين:

الشرعية تكون فيما يحبه الله عز وجل – والكونية أعم من ذلك فتكون فيما يحبه وفيما لا يحبه سبحانه.

الشرعية قد تقع كإسلام المسلم وقد لا تقع كإسلام أبي لهب مثلاً- الكونية لا بد أن تقع ولا تتخلف عن الوقوع. والله أعلم

(٢) اعلم رحمك الله تعالى أن الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة قسمان:

- نقص محض فهذه تنفي عن الله عز وجل مع إثبات كمال ضدها (كالعرَج) لم يرد نفيه ولا إثباته لكننا ننفيه عن الله عز وجل لثبوت كمال حياته وقيوميته سبحانه.

- لفظ مجمل للحق والباطل كالجهة والجسم والمكان ونحوها فهذه الألفاظ يجب التفصيل فيها قبل نفيها وإثباتها كما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى. وانظر الطحاوية / ٢٣٩ ، ٢١٨ .

ونعرف أن معناها " حق " إذا كان قد ثبت بصفة أخرى كالجهة إذا كانت بمعنى العلو فالعلو ثابت بعشرات الأدلة فإقرارنا بالمعنى استناداً إلى الأدلة لا إلى هذا اللفظ المجمل.

وانظر / الفتاوى ٥/ ٢٩٨ مختصر العلو / ٦٨

(فائدة) اعلم وفقك الله عز وجل إن منشأ هذه الألفاظ المجملة علم الكلام، وأن مستخدميها هم أهل البدع فكن على يقظة وحذر ، وهكذا يصنع المبتدعة والمتحزبة في عصرنا والله المعين على كشف عوارهم

قلنا له : لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتاً ولا نفياً، ويغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء . وأما معناه فإما أن يراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط به.

فالأول باطل لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة، والعقل والفطرة، والإجماع.

والثاني باطل أيضاً؛ لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

والثالث حق؛ لأن الله تعالى العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

ودليل هذه القاعدة السمع والعقل.

فأما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(١)﴾، وقوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(٢)﴾، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا(٣)﴾ وقوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً(٤)﴾، وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً(٥)﴾، وقوله: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ(٦)﴾

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

وكل نص يدل على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دال على وجوب الإيمان بما جاء في السنة؛ لأن مما جاء في القرآن الأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والرد إليه عند التنازع .والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته[١].

فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم المأمور به في القرآن؟

وأين الإيمان بالقرآن لمن لم يرد النزاع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أمر الله به في القرآن؟

وأين الإيمان بالرسول الذي أمر به القرآن لمن لم يقبل ما جاء في سنته؟

ولقد قال الله تعالى﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ[٢]﴾ ومن المعلوم أن كثيراً من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانها بالسنة، فيكون بيانها بالسنة من تبيان القرآن.

وأما العقل فنقول : إن تفصيل القول فيما يجب[٣] أو يمتنع[٤] أو يجوز[٥] في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة.

---

(١) أهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما ورد في القرآن والسنة الصحيحة سواءً ما صح بسند واحد أو أكثر وضل في ذلك المعتزلة فردوا خبر الآحاد وبطلان حجتهم هذه بأنهم قد ردوا ما جاء في القرآن دل على أنهم ليسوا حول الدين ومن الردود عليهم أن جبريل واحد والرسول واحد فإن صدقوا بهما بطل قولهم وإن كذبوهما كفروا، وأيضاً عرف بهذا ضلال الطائفة القرآنية التي ترد السنة ولا تؤمن بها وهؤلاء أشد كفراً وضلالاً.

إعلام الموقعين ١/ ٤٩-٥٠ وانظر مناهج الاستدلال ١/ ١٢٠/ ١٢٥/ ١٢٨ / مختصر الصواعق ٢/ ٣٥٩ موقف المتكلمة من الاستدلال بنصوص الصفات (١/ ٦١) وغيرها

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) وهي صفات الكمال المطلق.

(٤) وهي صفات النقص المحض.

(٥) وهي الصفات الفعلية التي يفعلها متى شاء ولا يفعلها متى شاء . والله أعلم.

القاعدة الثانية :الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف[١] لاسيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها.

ودليل ذلك :السمع، والعقل.

أما السمع :فقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ *عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ *بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ[٢]﴾ وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[٣]﴾ وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[٤]﴾، وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

وقد ذم الله تعالى اليهود على تحريفهم، وبين أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان .فقال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ[٥]﴾ وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا[٦]﴾ الآية.

---

(١) لغة : الإمالة ، اصطلاحاً : إمالة الكلام عن الحق الثابت فيه إلى غيره وهو قريب من معنى الإلحاد.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ – ١٩٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٧٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ٤٦.

وأما العقل: فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين فوجب قبوله على ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة(١).

****

(١) ولأن الكلام الشرعي لا يخشى عليه الخطأ ولا الجهل ولا التقصير في البيان كما قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى " (لو أراد الله ورسوله خلاف ظاهر كلامهما لكان قد كلف العباد فوق قدرتهم أ. هـ/ الصواعق ١/ ٣١٠ وهذا محال لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

القاعدة الثالثة[١] : ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار[٢] ومجهولة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك :السمع والعقل.

أما السمع : فمنه قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ[٣]﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[٤]﴾ وقوله –جل ذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[٥]﴾

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه، ليتذكر الإنسان بما فهمه منه. وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وبيان النبي صلى الله عليه وسلم القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

وأما العقل : فلأن من المحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يتكلم رسوله صلى الله عليه وسلم بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء؛ لأن ذلك من السفه الذي تأباه

(١) تقدم بعض الكلام عليها في القاعدة السادسة للصفات وتقدم أيضاً آنفاً في القاعدة الثانية .

(٢) باعتبار اللغة والشرع.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٣.

(٥) سورة النحل، الآية: ٤٤.

حكمة الله تعالى، وقد قال الله تعالى عن كتابه : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[١]

هذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات.

وأما دلالتها على جهلنا لها باعتبار الكيفية، فقد سبقت في القاعدة السادسة من قواعد الصفات[٢].

وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة[٣] الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات، ويدعون أن هذا مذهب السلف. والسلف بريئون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله –عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه[٤] في كتابه المعروف بـ"العقل والنقل" ص 116 جـ 1 المطبوع على هامش (منهاج السنة): وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله.

---

(١) سورة هود، الآية: ١.

(٢) ـ وأيضاً – أ- لأن الله عز وجل أخبرنا بصفاته ولم يخبرنا بكيفيتها . – ب- لأن الصفات فرع عن الذات والله عز وجل يقول " ولا يحيطون به علماً " فكما أننا لا نعرف كيفية ذاته كذا لا نعرف كيفية صفاته – ج- لأن الله عز وجل لم يتعبدنا بمعرفة الكيفية – د – قصور عقولنا عن معرفة ذلك – و – لأن هذه طريقة السلف الصالح . القواعد الكلية / ٣٠٥-٣٠٦/ المدارج ٣/ ٣٥٩ / منهج الاستدلال ٢/ ٤٨٢ وغيرها

(٣) التفويض لغة : الرد إلى الشيء والتوكيل إليه / اللسان / ٣٤٨ / واصطلاحاً : صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه بل يقولون : الله أعلم بمراده فيقولون : الله عليم ، فإذا قيل لهم ما معنى عليم : قالوا : الله أعلم بمراده . أ .هـ وهؤلاء أضل من الجهمية انظر مذهب أهل التفويض / ١٥٢/ منهج الاستدلال ٢/ ٥٨٠ الصواعق ٢/ ٤٣٣

(٤) انظر درئ تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٤) وانظر موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١/ ١٥٩)

– إلى أن قال ص 118 : وحينئذٍ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه .بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه، قال :ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدىً وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقلهن ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته ...لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك؛ لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به، فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول :إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف[١] من شر أقوال أهل البدع

(١) أسباب ظهور التفويض أمور – ١- الفهم الخاطئ لطريقة السلف كما سيأتي – ٢- الوقوع في الأصول العقلية والكلامية – ٣- دعوى الخوف على عقيدة العوام.

ودعوى أن هذا فهم السلف كذب، فالسلف كتبهم طافحة ببيان الصفات كما قال مالك (الاستواء معلوم) أي معلوم المعنى وكذا ردود السلف على المفوضة ويقال لهم الواقفة حتى قال الإمام أحمد : الواقفة أكفر من الجهمية.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : فإن هؤلاء المبتدعة كذبوا على طريق السلف ... الفتاوى (٥/ ٩-١٠).

وقدا سترسل الشيخ رحمه الله تعالى في رد مذهبهم في الواسطية عند قوله (ولا تكييف) فراجعه فإنه مفيد للغاية. وانظر مذهب أهل التفويض ٥٠٣/ الماتريدية ٢/ ١٣٣ الفتاوى ١٣/ ٣٠٧، ١٧/ ١٠٦ وغيرها

والإلحاد[١] .أهـ .كلام الشيخ وهو كلام سديد من ذي رأي رشيد، وما عليه مزيد –رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم.

****

(١) وذلك لأمور – أ- لأن المفوض محرفٌ لظاهر النص - ب- لأنه عطل المعنى – ج – لأنه توقف في إثبات المعنى خوف التمثيل فهو ممثل – د – مخالف لمنهج السلف – و- عدم إثبات الصفات تشبيه لله عز وجل بالمعدومات – ز- التفويض إلحاد من حيث أنه مال بها عن معانيها الحقة إلى الباطل.

القاعدة الرابعة : ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني، وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق، ومعنى آخر في سياق .وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.

فلفظ القرية، مثلاً يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً[(١)]﴾

ومن الثاني قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ[(٢)]﴾

وتقول : صنعت هذا بيدي، فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ[(٣)]﴾؛ لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق أو بالعكس.

ونقول : ما عندك إلا زيد[(٤)]، وما زيد إلا عندك. فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى مع اتحاد الكلمات، لكن اختلف التركيب فغير المعنى به.

إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣١.

(٣) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٤) حصرت الكائن (زيد) (ما زيد إلا عندك) حصرت المكان (عندك).

وقد انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقاً يليق بالله –عز وجل – وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والذين لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم(١).

وقد أجمعوا على ذلك كما نقله ابن عبد البر(٢) فقال: أهل السنة مجمعون على الإقرار(٣) بالصفات الواردة كلها في القرآن الكريم والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة" أهـ.

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب (إبطال التأويل)(٤): لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة" أهـ .نقل ذلك عن ابن عبد البر والقاضي شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتوى الحموية ص 89-87 جـ 5 من مجموع الفتاوى لابن القاسم.

وهذا هو المذهب الصحيح، والطريق القويم الحكيم، وذلك لوجهين:

الأول : أنه تطبيق تام لما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته كما يعلم ذلك من تتبعه بعلم وإنصاف.

---

(١) السلفيون الذين يؤمنون بالأسماء والصفات وسائر المعتقد من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ، وانظر مقدمة الواسطية لابن تيمية رحمه الله تعالى .

(٢) في التمهيد (٧/ ١٤٥) ونقله أيضاً ابن القيم إعلام الموقعين ١ / ٤٩ / الصواعق ١ / ٢١٠

(٣) أي: الإثبات .

(٤) ص ٤٣، وعنده بعض الأخطاء في العقيدة.

الثاني : أن يقال :إن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف أو فيما قاله غيرهم، والثاني باطل لأنه يلزم منه أن يكون السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تكلموا بالباطل تصريحاً أو ظاهراً، ولم يتكلموا مرة واحدة لا تصريحاً ولا ظاهراً بالحق الذي يجب اعتقاده .وهذا يستلزم أن يكونوا إما جاهلين بالحق وإما عالمين به لكن كتموه، وكلاهما باطل، وبطلان اللازم[١] يدل على بطلان الملزوم[٢]، فتعين أن يكون الحق فيما قاله السلف دون غيرهم.

القسم الثاني : من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله وهو : التشبيه[٣]، وأبقوا دلالتها على ذلك .وهؤلاء هم المشبهة[٤] ومذهبهم باطل محرم من عدة أوجه:

الأول : أنه جناية على النصوص وتعطيل لها عن المراد بها، فكيف يكون المراد بها التشبيه وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[٥]﴾

الثاني : أن العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات، فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟

الثالث : أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها فيكون باطلاً.

---

(١) وهو الجهل به أو كتمه.

(٢) وهو أن طريقة غير السلف هي الحق فهذا باطل.

(٣) وهو التمثيل كما تقدم مراراً.

(٤) هم الممثلة.

(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

فإن قال المشبه : أنا لا أعقل من نزول الله ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك، والله تعالى لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله فجوابه من ثلاثة أوجه:

أحدها : أن الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال، أو يجعلوا له أنداداً فقال: ﴿فَلا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ[١]﴾ وقال: ﴿فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ[٢]﴾ وكلامه –تعالى –كله حق يصدق بعضه بعضاً، ولا يتناقض.

ثانيها : أن يقال له :ألست تعقل لله ذاتاً لا تشبه الذوات؟

فسيقول :بلى !فيقال له :فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات، فإن القول في الصفات كالقول في الذات[٣]، ومن فرق بينهما فقد تناقض.!

ثالثها : أن يقال : ألست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية؟

فسيقول : بلى !فيقال له : إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا، فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق، مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم، بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق كما سبق في القاعدة السادسة من قواعد الصفات.

القسم الثالث : من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً، لا يليق بالله وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله، وهم أهل التعطيل

(١) سورة النحل، الآية: ٧٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٣) انظر نحو هذا الكلام / التدمرية / ٤٣ التحفة المهدية / ١٠٩ / الفتاوى ٣/ ٩-١١/ الحجة في إثبات المحجة ١/ ١٧٥/ منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة / ٢/ ٤١٣ وغيرها.

سواء كان تعطيلهم عاماً[١] في الأسماء والصفات، أم خاصاً[٢] فيهما، أو في أحدهما[٣]، فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معاني عينوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطراباً كثيراً، وسموا ذلك تأويلاً، وهو في الحقيقة تحريف[٤].

ومذهبهم باطل من وجوه:

أحدها : أنه جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الثاني : أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره، والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين، ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي صلى الله عليه وسلم خاطبهم بأفصح لسان البشر؛ فوجب حمل كلام الله ورسوله على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي؛ غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عز وجل.

الثالث : أن صرف كلام الله ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه، قول على الله بلا علم وهو محرم ؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ

---

(١) من الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون جميع الصفات وزاد الجهمية إنكار الأسماء.

(٢) كالأشاعرة عطلوا أكثر الصفات إلا النادر وكلهم أهل بدع وضلال.

(٣) كالمعتزلة والأشاعرة كما تقدم .

(٤) التأويل منه ما هو حق كالتفسير للألفاظ ويسمى تأويلاً أو صرف اللفظ عن ظاهره لقرينة صحيحة، ومنه ما هو باطل وهو التحريف، أما التحريف فكله باطل فكان التعبير به أولى لأنه الوارد في القرآن الكريم. وانظر الواسطية لابن عثيمين عند قوله: (ولا تحريف).

تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ[١]﴾ ولقوله سبحانه: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً[٢]﴾

فالصارف لكلام الله –تعالى – ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم .

وقال على الله ما لا يعلم من وجهين:

الأول : أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله كذا، مع أنه ظاهر الكلام.

الثاني : أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام.

وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال[٣] قول بلا علم؛ فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام[٤]؟!

مثال ذلك :قوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[٥]﴾ فإذا صرف الكلام عن ظاهره، وقال :لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين وإنما أراد كذا وكذا .قلنا له : ما دليلك على ما نفيت[٦]؟ ! وما دليلك على ما أثبت[٧]؟ ! فإن أتى بدليل –وأنى له ذلك –وإلا كان قائلاً على الله بلا علم في نفيه وإثباته.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) يعني لفظ واحد له معنيان مستويان في احتمال أن هذا مراد أو هذا مراد . فتعيين أحدهما بلا برهان قول بلا علم .

(٤) فهو من باب أولى قول بلا علم .

(٥) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٦) للظاهر.

(٧) للمعنى الآخر .

الوجه الرابع : في إبطال مذهب أهل التعطيل : أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً، لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وسلف الأمة وأئمتها.

الوجه الخامس : أن يقال للمعطل:

هل أنت أعلم بالله من نفسه؟ فسيقول : لا.

ثم يقال له : هل ما أخبر الله به عن نفسه صدق وحق؟ فسيقول : نعم.

ثم يقال له : هل تعلم كلاماً أفصح وأبين من كلام الله –تعالى؟ فسيقول : لا.

ثم يقال له :هل تظن أن الله – سبحانه وتعالى – أراد أن يعمي الحق على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم؟ فسيقول :لا.

هذا ما يقال له باعتبار ما جاء في القرآن.

أما باعتبار ما جاء في السنة فيقال له:

هل أنت أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه وسلم؟ فسيقول :لا.

ثم يقال له : هل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحق صدق وحق؟ فسيقول : نعم.

ثم يقال له : هل تعلم أن أحداً من الناس أفصح كلاماً، وأبين من رسول الله صلى الله عليه؟ فسيقول لا.

فيقال له : إذا كنت تقر بذلك فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله – تعالى –لنفسه، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم على حقيقته وظاهره اللائق بالله؟ وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقته تلك، وصرفه إلى معنى يخالف ظاهره بغير علم؟ وماذا يضيرك إذا أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه، أو سنة نبيه على الوجه اللائق به، فأخذت بما جاء في الكتاب والسنة إثباتاً ونفياً؟

أليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سئلت يوم القيامة: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ[١]﴾ أوليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها، وتعيين معنى آخر مخاطرة منك؟ !فلعل المراد يكون –على تقدير جواز صرفها –غير ما صرفتها إليه.

الوجه السادس في إبطال مذهب أهل التعطيل : أنه يلزم عليه لوازم باطلة؛ وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

فمن هذه اللوازم:

أولاً : أن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنه مستلزم أو موهم لتشبيه الله –تعالى –بخلقه، وتشبيه الله –تعالى –بخلقه كفر؛ لأنه تكذيب لقوله –تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[٢]﴾ .

قال نعيم بن حماد الخزاعي أحد مشايخ البخاري رحمهما الله: من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً[٣] .أهـ.

ومن المعلوم أن من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيهاً وكفراً أو موهماً لذلك.

ثانياً : أن كتاب الله –تعالى –الذي أنزله تبياناً لكل شيء، وهدى للناس، وشفاءً لما في الصدور، ونوراً مبيناً، وفرقاناً بين الحق والباطل لم يبين الله –تعالى –فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته، وإنما جعل ذلك موكلاً إلى عقولهم، ويثبتون لله ما يشاءون، وينكرون ما لا يريدون .وهذا ظاهر البطلان.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١

(٣) أخرجه اللالكائي (٩٣٦) وسنده صحيح.

ثالثاً : أن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات أو يمتنع عليه أو يجوز؛ إذ لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه أهل التعطيل في صفات الله –تعالى –وسموه تأويلاً.

وحينئذ إما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون وسلف الأمة وأئمتها قاصرين لجهلهم بذلك وعجزهم عن معرفته، أو مقصرين لعدم بيانهم للأمة، وكلا الأمرين باطل!!

رابعاً : أن كلام الله ورسوله ليس مرجعاً للناس فيما يعتقدونه في ربهم وإلاههم الذي معرفتهم به من أهم ما جاءت به الشرائع بل هو زبدة الرسالات، وإنما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة وما خالفها، فسبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، أو التحريف الذي يسمونه تأويلاً، إن لم يتمكنوا من تكذيبه.

خامساً : أنه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله، فيقال في قوله –تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ(١)﴾ إنه لا يجيء، وفي قوله صلى الله عليه وسلم" :ينزل ربنا إلى السماء الدنيا"إنه لا ينزل لأن إسناد المجيء والنزول إلى الله مجاز عندهم، وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صحة نفيه، ونفي ما أثبته الله ورسوله من أبطل الباطل، ولا يمكن الانفكاك عنه بتأويله إلى أمره؛ لأنه ليس في السياق ما يدل عليه.

ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات(٢)، أو تعدى إلى الأسماء(١) –أيضاً – ومنهم من تناقض فأثبت بعض الصفات دون بعض(٢)، كالأشعرية والماتريدية :أثبتوا ما أثبتوه بحجة أن العقل يدل عليه، ونفوا ما نفوه بحجة أن العقل ينفيه أو لا يدل عليه(٣).

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٢) وهم المعتزلة.

فنقول لهم : نفيكم لما نفيتموه بحجة أن العقل لا يدل عليه يمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتم به ما أثبتموه كما هو ثابت بالدليل السمعي.

مثال ذلك : أنهم أثبتوا صفة الإرادة، ونفوا صفة الرحمة.

أثبتوا صفة الإرادة لدلالة السمع والعقل عليها.

أما السمع : فمنه قوله تعالى﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ(٤)﴾

وأما العقل :فإن اختلاف المخلوقات وتخصيص بعضها بما يختص به من ذات أو وصف دليل على الإرادة.

ونفوا الرحمة؛ لأنها تستلزم لين الراحم ورقته للمرحوم، وهذا محال في حق الله تعالى.

وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرحمة إلى الفعل أو إرادة الفعل ففسروا الرحيم بالمنعم أو مريد الإنعام.

فنقول لهم : الرحمة ثابتة لله تعالى بالأدلة السمعية، وأدلة ثبوتها أكثر عدداً وتنوعاً من أدلة الإرادة .

فقد وردت بالاسم مثل: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٥)﴾ والصفة مثل: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ(٦) ﴾

والفعل مثل: ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ(١)﴾

---

(١) وهم الجهمية.

(٢) الأشاعرة والماتريدية والكلابية.

(٣) وهؤلاء الذين قدموا العقل على النقل أضل من حمر أهلهم، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : أرادوا بهذه القاعدة أن يهدموا الإسلام أ . هـ ورد عليهم بكتاب (درئ تعارض العقل والنقل).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٣.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

ويمكن إثباتها بالعقل فإن النعم التي تترى على العباد من كل وجه، والنقم التي تـدفع عـنهم في كل حين دالة على ثبوت الرحمة لله –عز وجـل –ودلالتهـا عـلى ذلـك أبـين وأجـلى مـن دلالـة التخصيص على الإرادة، لظهور ذلك للخاصة والعامة، بخلاف دلالة التخصيص عـلى الإرادة، فإنه لا يظهر إلا لأفراد من الناس.

وأما نفيها بحجة أنها تستلزم اللين والرقة؛ فجوابه : أن هذه الحجة لو كانـت مسـتقيمة لأمكـن نفي الإرادة بمثلها فيقال : الإرادة ميل المريد إلى ما يرجو به حصول منفعة أو دفع مضرة، وهـذا يستلزم الحاجة، والله تعالى منزه عن ذلك.

فإن أجيب : بأن هذه إرادة المخلوق أمكن الجواب بمثله في الرحمة بأن الرحمة المسـتلزمة للـنقص هي رحمة المخلوق.

وبهذا تبين بطلان مذهب أهل التعطيل سواء كانت تعطيلاً عاماً أو خاصاً.

وبه علم أن طريق الأشاعرة والماتريدية في أسماء الله وصفاته وما احتجوا به لـذلك لا تنـدفع بـه شبه المعتزلة والجهمية وذلك من وجهين:

أحدهما : أنه طريق مبتدع لم يكن عليه النبي صـلى الله عليـه وسـلم ولا سـلف الأمـة وأئمتهـا، والبدعة لا تدفع بالبدعة وإنما تدفع بالسنة.

الثاني : أن المعتزلة والجهمية يمكنهم أن يحتجوا لما نفوه على الأشاعرة والماتريدية بمثل ما احـتج به الأشاعرة والماتريدية لما نفوه على أهل السنة، فيقولون :لقد أبحتم لأنفسكم نفي ما نفيتم مـن الصفات بما زعمتموه دليلاً عقلياً وأولتم دليله السمعي، فلماذا تحرمون علينا نفي ما نفيناه بما نراه دليلاً عقلياً، ونأول دليله السمعي، فلنا عقول كما أن لكـم عقـولاً، فـإن كانـت عقولنـا خاطئـة

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢١.

فكيف كانت عقولكم صائبة، وإن كانت عقولكم صائبة فكيف كانت عقولنا خاطئة، وليس لكم حجة في الإنكار علينا سوى مجرد التحكم واتباع الهوى.

وهذه حجة دامغة وإلزام صحيح من الجهمية والمعتزلة للأشعرية والماتريدية، ولا مدفع لذلك ولا محيص عنه إلا بالرجوع لمذهب السلف الذين يطردون هذا الباب، ويثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إثباتاً لا تمثيل فيه ولا تكييف، وتنزيهاً لا تعطيل فيه ولا تحريف،﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾

تنبيه: علم مما سبق أن كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل.

أما تعطيل المعطل فظاهر، وأما تمثيله فلأنه إنما عطل لاعتقاده أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه فمثل أولاً، وعطل ثانياً، كما أنه بتعطيله مثله بالناقص.

وأما تمثيل الممثل فظاهر، وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه:

الأول : أنه عطل نفس النص الذي أثبت به الصفة، حيث جعله دالاً على التمثيل مع أنه لا دلالة فيه عليه وإنما يدل على صفة تليق بالله عز وجل.

الثاني : أنه عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه.

الثالث : أنه عطل الله تعالى عن كماله الواجب حيث مثله بالمخلوق الناقص.

فصل

اعلم أن بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبهة في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات، أدعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها؛ ليلزم أهل السنة بالموافقة على التأويل أو المداهنة فيه، وقال: كيف تنكرون علينا تأويل ما أولناه مع ارتكابكم لمثله فيما أولتموه؟

ونحن نجيب –بعون الله –عن هذه الشبهة بجوابين مجمل، ومفصل.

أما المجمل فيتلخص في شيئين:

أحدهما: أن لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها، فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعنى، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فإن الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام، والكلام مركب من كلمات وجمل، يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض.

ثانيهما: أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف لها عن ظاهرها، فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنة، إما متصلاً وإما منفصلاً، وليس لمجرد شبهات(١) يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما المفصل فعلى كل نص أدعى أن السلف صرفوه عن ظاهره.

ولنمثل بالأمثلة التالية فنبدأ بما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية أنه قال: إن أحمد لم يتأول(٢) إلا في ثلاثة أشياء:

---

(١) الشبه هي تشبيه الباطل بالحق ليضل به الناس ويقبلوا ما فيها.

(٢) تقدم أن الأولى التعبير (بالتحريف).

(الحجر الأسود يمين الله في الأرض)، و(قلوب العباد بين إصبعين من أصـابع الـرحمن)، و(إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيميه ص 398 جـ 5 مـن مجمـوع الفتاوى . وقال : هذه الحكاية كذب على أحمد[١].

****

(١) وانظر للمزيد منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة ٢/ ٦٠٦

المثال الأول[١]: "الحجر الأسود يمين الله في الأرض".

والجواب عنه : أنه حديث باطل[٢]، لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية[٣]: هذا حديث لا يصح .

وقال ابن العربي : حديث باطل فلا يلتفت إليه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه[٤] : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد لا يثبت أهـ .وعلى هذا فلا حاجة للخوض في معناه.

لكن قال شيخ الإسلام ابن تيميه :والمشهور –يعني في هذا الأثر –إنما هو عن ابن عباس[٥] قال" : الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبله، فكأنما صافح الله وقبل يمينه ." ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه، فإنه قال: (يمين الله في الأرض) ولم يطلق

---

(١) قالوا : ظاهر النص أن الحجر هو يمين الله عز وجل والحجر مخلوق فتكون صفة اليمين لله عز وجل مخلوقة.

(٢) الحديث رواه أبو يعلي في إبطال التأويل (١٧٧) من حديث انس رضي الله عنه وفيه أبان بن أبي عياش والعلاء بن مسلمة متروكان رواه الخطيب (٦/ ٣٢٨) وابن عدي (٢/ ١٧) وغيرهما عن جابر رضي الله عنه وفي سنده إسحاق الكاهلي كذاب ورواه عبد الرزاق عن ابن عباس موقوفاً (٨٩١٩) وغيره وفي سنده إبراهيم بن سعيد الخوربي متروك فالحديث في غاية من السقوط ولا نعلم أحداً من أهل العلم المعتبرين حسنه أو صححه والله أعلم .

(٣) (٩٤٤).

(٤) الفتاوى (٦/ ٣٩٧).

(٥) يعني موقوفاً بلفظ (إن هذا الركن يمين الله في الأرض يصافح الله بها عباده مصافحة الرجل أخاه) رواه ابن أبي عمر كما في المطالب العالية (١٢٤٢) وعبد الرزاق (٨٩١٩) من طريق ابن جريج سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول : سمعت ابن عباس ... فذكره فهذا سند صالح ولكنه موقوف.

فيقول :يمين الله . وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق، ثم قال: (فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه"وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً، ولكن شبه بمن يصافح الله، فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله تعالى كما هو معلوم لكل عاقل .أهـ .ص398جـ6مجموع الفتاوى[١].

****

(١) وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢١٥ ونقض التأسيس (٣/ ١٠٣-١٠٤) الفتاوى (٣/ ٤٣-٤٤) والتدمرية / ٧١ وغيرها، وقال أبو يعلي رحمه الله تعالى: اعلم أن هذا ليس على ظاهره لأن إضافة الحجر إلى صفة ذات هي يمين الله يحيل صفات الله جل وعلا ويخرجها عما تستحقه لأن الحجر جسم مخلوق حال في المخلوق وهو في الأرض، والله سبحانه وتعالى تستحيل عليه هذه الصفات. (ص ١٨٣) . أ . هـ وإضافة الأعيان القائمة بنفسها تكون إضافة مخلوق إلى خالقه. والله أعلم .

المثال الثاني[١]: "قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن".

والجواب : أن هذا الحديث صحيح رواه مسلم[٢] في الباب الثاني من كتاب القدر عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء" ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك".

وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث وقالوا : إن لله تعالى أصابع حقيقة نثبتها له كما أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين إصبعين منها أن تكون مماسة لها حتى يقال : إن الحديث موهم للحلول[٣] فيجب صرفه عن ظاهره . فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض وهو لا يمس السماء ولا الأرض .ويقال : بدر بين مكة والمدينة مع تباعد ما بينها وبينهما، فقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول.

****

(١) قالوا : إذا أجرتموه على ظاهره فإن ذلك يستحيل لأن الله تعالى لا يوصف بالأعضاء، وإثباتكم يلزم منه مماسه الأصابع للقلوب وأنها في صدر الإنسان . أ . هـ

(٢) (٢٦٥٤/ م)

(٣) وانظر نقض التأسيس / ٣/ ١٤٢-١٤٣ الفتاوى ٣/ ٤٥

المثال الثالث(١): "إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن".

والجواب : أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند (٢) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه –قال :قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا إن الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن". قال في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة. قلت : وكذا قال في التقريب عن شبيب ثقة من الثالثة، وقد روى البخاري نحوه في التاريخ الكبير(٣). وهذا الحديث على ظاهره والنفس فيه اسم مصدر نفس ينفس تنفسياً، مثل فرج يفرج تفريجاً وفرجاً، هكذا قال أهل اللغة كما في النهاية والقاموس ومقاييس اللغة .قال في مقاييس اللغة : النفس كل شيء يفرج به عن مكروب .فيكون معنى الحديث :أن تنفيس الله –تعالى –عن المؤمنين يكون من أهل اليمن.

****

(١) قالوا : إذا أجريتم الحديث على ظاهره كانت من صفات الله عز وجل التنفس من قبل اليمن.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٥٤١) والبخاري في(التاريخ الكبير) (تخ ٤/ ٧٠ – ٧١) وفي سنده شبيب فيه نظر، وللحديث شواهد ذكرها الألباني في الصحيحة (٣٣٦٧) : من حديث سلمة بن نفيل، وقال: الحديث صار به صحيحاً، والحمد لله على توفيقه، وأسأله المزيد من فضله.

(٣) (٤/ ٧٠-٧١) من طريق إبراهيم بن سليمان الأفطس عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير أخبره سلمه بن نفيل السكوني رفعه به. وصححه أيضًا من حديث سلمة الألباني كما تقدم وصححه الوادعي في الجامع الصحيح (٣٩٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات. أهـ .ص398جـ 6مجموع فتاوى شيخ الإسلام لابن قاسم[(١)].

****

(١) وانظر تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ٩) إبطال التأويل / ٢٠٥ / نقض التأسيس ٣/ ١١٠-١١٤ منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة ٢/ ٦١٠-٦١١ وغيرها.

المثال الرابع[١] : **قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ[٢]﴾**

والجواب : أن لأهل السنة في تفسيرها قولين:

أحدهما : أنها بمعنى ارتفع إلى السماء، وهو الذي رجحه ابن جرير، قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف" :وأولى المعاني بقول الله –جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُن ﴾ علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سموات ."أهـ .وذكره البغوي في تفسيره :قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف. وذلك تمسكاً بظاهر لفظ: (اسْتَوَى). وتفويضاً لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله –عز وجل.

القول الثاني : إن الاستواء هنا بمعنى القصد التام؛ وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت .

قال ابن كثير: أي: قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا ضمن معنى القصد والإقبال، لأنه عدي بـ(إلى).

وقال البغوي: أي: عمد إلى خلق السماء.

وهذا القول ليس صرفاً للكلام عن ظاهره، وذلك لأن الفعل (اسْتَوَى)اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء . فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به، ألا ترى إلى قوله –تعالى: ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ الله يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً[٣] ﴾ حيث كان معناها يروى بها عباد الله لأن الفعل

(١) ووجه الشبهه أن أهل التعطيل يقولون: ظاهر الآية أن الله كان في الأرض ثم صعد إلى السماء.
فقال أهل السنة: لا نقول بأن ظاهره ما ذكرتم فعُلُو الله عز وجل من صفاته الذاتية التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها أ . هـ المراد من شرح الشيخ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٦.

(يَشْرَبُ) اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروى، فالفعل يضمن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام(١).

****

(١) وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : الاستواء علو خاص فكل مستوٍ على شيء عالٍ عليه والذي أخبر الله عنه أنه كان بعد خلق السموات والأرض هو الاستواء – العلو الخاص – لا مطلق العلو ... ثم لما خلق هذا العالم كان عالياً ولم يكن مستوياً عليه فلما خلق السماوات والأرض استوى عليه فالأصل أن علوه على المخلوقات وصف لا زم له .... (الفتاوى ٥/ ٥٢٢-٥٢٣)

المثال الخامس، والسادس[١] :قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ[٢]﴾ ، وقوله في سورة المجادلة: ﴿وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا[٣]﴾

والجواب :أن الكلام في هاتين الآيتين حق على حقيقته وظاهره.

ولكن ما حقيقته وظاهره؟

هل يقال :إن ظاهره وحقيقته أن الله –تعالى – مع خلقه معية تقتضي أن يكون مختلطاً بهم، أو حالاً في أمكنتهم؟

أو يقال : إن ظاهره وحقيقته أن الله –تعالى –مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم : علماً وقدرة، وسمعاً وبصراً، وتدبيراً، وسلطاناً، وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه؟

ولا ريب أن القول الأول لا يقتضيه السياق، ولا يدل عليه بوجه من الوجوه، وذلك لأن المعية هنا أضيفت إلى الله –عز وجل – وهو أعظم وأجلُّ من أن يحيط به شيء من مخلوقاته ! ولأن المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان، وإنما تدل على مطلق مصاحبة، ثم تفسر في كل موضع بحسبه.

وتفسير معية الله –تعالى – لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط باطل من وجوه:

الأول : أنه مخالف لإجماع السلف، فما فسرها أحد منهم بذلك؛ بل كانوا مجمعين على إنكاره.

---

(١) قالوا: إجراءها على ظاهر يقتضي أن الله معنا بذاته في كل مكان. وهذا باطل وللشيخ كلام واسع حول المعية إن شاء الله تعالى آخر الكتاب المطبوع.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

الثاني : أنه مناف لعلو الله –تعالى – الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة، وإجماع السلف، وما كان منافياً لما ثبت بدليل كان باطلاً بما ثبت به ذلك المنافي، وعلى هذا فيكون تفسير معية الله لخلقه بالحلو والاختلاط باطلاً بالكتاب والسنة، والعقل، والفطرة، وإجماع السلف!!

الثالث : أنه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله –سبحانه وتعالى.

ولا يمكن لمن عرف الله –تعالى – وقدره حق قدره، وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن يقول :إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم، فضلاً عن أن تستلزم ذلك، ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة، جاهل بعظمة الرب – جل وعلا.

فإذا تبين بطلان هذا القول تعين أن يكون الحق هو القول الثاني، وهو أن الله –تعالى – مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم، علماً وقدرة، وسمعاً وبصراً، وتدبيراً وسلطاناً، وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه.

وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب، لأنهما حق، ولا يكون ظاهر الحق إلا حقاً، ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتوى الحموية ص 103 جـ 5 من مجموع الفتاوى لابن قاسم : "ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ[1]﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم، هذا معنى قول السلف :إنه معهم

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته .وكذلك في قولـه: ﴿مَـا يَكُـونُ مِـنْ نَجْـوَى ثَلاثَـةٍ إِلا هُـوَ رَابِعُهُمْ .(إلى قوله) :هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا[(١)]﴾ الآية.

ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا﴾[(٢)] كـان هـذا – أيضاً – حقاً على ظاهره، ودلت الحال عـلى أن حكـم هـذه المعيـة هنـا معيـة الاطـلاع والنصر والتأييد.

ثم قال : فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، يقتضي في كـل موضـع أمـوراً لا يقتضيها في الموضع الآخر . فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصية، فعلى التقـديرين لـيس مقتضـاها أن تكـون ذات الرب –عز وجل – مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها .أهـ.

ويدل على أنه ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب –عز وجل –مختلطة بالخلق أن الله –تعالى – ذكرها في آية المجادلة بين ذكر عموم علمه في أول الآية وآخرها فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَـمُ مَـا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُـوا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ إِنَّ اللهَ بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[(٣)]﴾

(١) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم لا أنه – سبحانه – مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض.

أما في آية الحديد فقد ذكرها الله –تعالى – مسبوقة بذكر استوائه على عرشه وعموم علمه متلوة ببيان أنه بصير بما يعمل العباد فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(١)﴾

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم واستوائه على عرشه؛ لا أنه –سبحانه –مختلط بهم ولا أنه معهم في الأرض وإلا لكان آخر الآية مناقضاً لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه.

فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه –تعالى –مع عباده أنه يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر شئونهم، فيحيي ويميت، ويغني ويفقر، ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه لا يحجبه عن خلقه شيء، ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة، ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في"العقيدة الواسطية"ص 142جـ 3من مجموع الفتاوى لابن قاسم في فصل الكلام على المعية قال" :وكل هذا الكلام الذي ذكره الله –سبحانه –من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة ".أهـ.

وقال في"الفتوى الحموية"ص102، 103جـ 5من المجموع المذكور :وجماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منها كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته.

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البته مثل أن يقول القائل :ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله(وَهُوَ مَعَكُمْ) وقوله صلى الله عليه وسلم" :إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه"[١] ونحو ذلك فإن هذا غلط.

وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله –سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[٢]﴾

فأخبر أنه فوق العرش، يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال[٣]: (والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه) أهـ.

واعلم أن تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله –تعالى[٤] –لا يناقض ما ثبت من علو الله تعالى بذاته على عرشه وذلك من وجوه ثلاثة:

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (خ٤٠٦) (م ٥٤٧)

(٢) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٣) هو حديث طويل انظره في المسند (١/ ٢٠٦ ، ٢٠٧) وعند أبي داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٣٢٠) وابن ماجه (١٩٣) وغيرهم من حديث العباس رضي الله عنه ودافع عنه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى والحديث لا يحتاج إلى ذلك فهو ضعيف منكر، وفي سنده عبد الله بن عميرة مجهول ولم يسمع من الأحنف كما ذكره البخاري رحمه الله وسماك فيه كلام، والمتن فيه نكارة وقد وهاه ابن الجوزي في العلل (٢/ ٢٥) والألباني (٣٤/ ضعيف ابن ماجه) ووهاه الوادعي في بعض دروسه.

(٤) وهي أنه معنا بعلمه وقدرته.. كما تقدم قريبًا، ومن فسرها أنه معنا بذاته فقد أبعد والله أعلم.

الأول : أن الله –تعالى – جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض، وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما.

وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره حتى يتبين لك، قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً(١)﴾ فإن لم يتبين لك فعليك بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا(٢)﴾ وكل الأمر إلى منزله الذي يعلمه، واعلم أن القصور في علمك أو في فهمك، وأن القرآن لا تناقض فيه.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله فيما سبق" :كما جمع الله بينهما."

وكذلك ابن القيم كما في"مختصر الصواعق" لابن الموصلي ص 410ط الإمام، في سياق كلامه على المثال التاسع مما قيل إنه مجاز قال:"وقد أخبر الله أنه مع خلقه مع كونه مستوياً على عرشه، وقرن بين الأمرين كما قال تعالى – :وذكر آية سورة الحديد –ثم قال :فأخبر أنه خلق السموات والأرض، وأنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الأوعال (٣)،"والله فوق العرش يرى ما أنتم عليه" فعلُّوه لا يناقض معينه، ومعيته لا تبطل علوه بل كلاهما حق" أهـ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) هو حديث طويل انظره في المسند (١/ ٢٠٦ ، ٢٠٧) وعند أبي داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٣٢٠) وابن ماجه (١٩٣) وغيرهم من حديث العباس رضي الله عنه ودافع عنه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى والحديث لا يحتاج إلى ذلك فهو ضعيف منكر، وفي سنده عبد الله بن عميرة مجهول ولم يسمع من الأحنف كما ذكره البخاري رحمه الله وسماك فيه كلام، والمتن فيه نكارة وقد وهاه ابن الجوزي في العلل (٢/ ٢٥) والألباني (٣٤/ ضعيف ابن ماجه) ووهاه الوادعي في بعض دروسه.

الوجه الثاني : أن حقيقة معنى المعية لا يناقض العلو، فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق فإنه يقال : مازلنا نسير والقمر معنا .ولا يعد ذلك تناقضاً ولا يفهم منه أحد أن القمر نزل في الأرض، فإذا كان هذا ممكناً في حق المخلوق، ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه سبحانه من باب أولى، وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في"الفتوى الحموية"ص 103 المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن قاسم حيث قال:"وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال : مازلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا، ويقال :هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة ."أهـ.

وصدق –رحمه الله تعالى –فإن من كان عالماً بك مطلعاً عليك، مهيمناً عليك، يسمع ما تقول، ويرى ما تفعل، ويدبر جميع أمورك، فهو معك حقيقة، وإن كان فوق عرشه حقيقة؛ لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

الوجه الثالث : أنه لو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حق الخالق الذي جمع لنفسه بينهما؛ لأن الله تعالى لا يماثله شي من مخلوقاته كما قال تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١)﴾

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في"العقيدة الواسطية"ص 143 جـ 3من مجموع الفتاوى حيث قال:"وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه –سبحانه –ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو عليّ في دنوه قريب في علوه ."أهـ.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

تتمة :انقسم الناس في معية الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام:

القسم الأول : يقولون :إن معية الله تعالى لخلقه مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة، ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة، مع ثبوت علوه بذاته واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم السلف ومذهبهم هو الحق كما سبق تقريره.

القسم الثاني : يقولون :إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع نفي علوه واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم، ومذهبهم باطل منكر، أجمع السلف على بطلانه وإنكاره كما سبق.

القسم الثالث : يقولون :إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع ثبوت علوه فوق عرشه . ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية(١) ص 229جـ 5 من مجموع الفتاوى.

وقد زعم هؤلاء أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو . وكذبوا في ذلك فضلوا، فإن نصوص المعية لا تقتضي ما أدعوه من الحلول؛ لأنه باطل ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله باطلاً.

تنبيه : اعلم أن تفسير السلف لمعية الله تعالى لخلقه بأنه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العلم بل المعية تقتضي أيضاً إحاطته بهم سمعاً وبصراً وقدرة وتدبيراً ونحو ذلك من معاني ربوبيته.

تنبيه آخر : أشرت فيما سبق إلى أن علو الله تعالى ثابت بالكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة، والإجماع .أما الكتاب فقد تنوعت دلالته على ذلك:

---

(١) يعني: ذكره عن بعض الطوائف، وهو قول باطل.

فتارة بلفظ العلو، والفوقية، والاستواء على العرش، وكونه في السماء كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ[(١)]﴾، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ[(٢)]﴾ ، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى[(٣)]﴾، ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ[(٤)]﴾

وتارة بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه، كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ[(٥)]﴾،﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ[(٦)]﴾، ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ[(٧)]﴾

وتارة بلفظ نزول الأشياء منه ونحوه ذلك، كقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾[(٨)]، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ[(٩)]﴾

وأما السنة فقد دلت عليه بأنواعها القولية، والفعلية، و الاقرارية، في أحاديث كثيرة، تبلغ حد التواتر، وعلى جوه متنوعة، كقوله صلى الله عليه وسلم في سجوده: "سبحان ربي الأعلى"[(١٠)]

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٨.

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) سورة الملك، الآية: ١٦.

(٥) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٦) سورة المعارج، الآية: ٤.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٨) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(٩) سورة السجدة، الآية: ٥.

(١٠) رواه مسلم (٧٧٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

وقوله: "إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه :إن رحمتي سبقت غضبي"(١)، وقوله: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء"(٢)، وثبت عنه أنه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة يقول: "اللهم أغثنا" (٣) ، وأنه رفع يده على السماء وهو يخطب الناس يوم عرفة حين قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت .فقال: "اللهم اشهد(٤)"وأنه قال للجارية: "أين الله؟" قالت :في السماء .فأقرها وقال لسيدها: "أعتقها فإنها مؤمنة(٥)"

وأما العقل : فقد دل على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص .والعلو صفة كمال والسفل نقص، فوجب لله تعالى صفة العلو وتنزيهه عن ضده.

وأما الفطرة : فقد دلت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية فما من داع أو خائف فزع إلى ربه تعالى إلا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو لا يلتفت عن ذلك يمنه ولا يسرة.

واسأل المصلين، يقول الواحد منهم في سجوده: "سبحان ربي الأعلى" أين تتجه قلوبهم حينذاك؟

وأما الإجماع : فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله تعالى فوق سمواته مستوٍ على عرشه؛ وكلامهم مشهور في ذلك نصاً وظاهراً.

---

(١) متفق عليه (خ٧٤٢٢) (م ٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه (خ ٤٣٥١) (م ١٠٦٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه (خ ١٠١٤) (م٨٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه

(٤) رواه مسلم (م ١٢١٨) عن جابر رضي الله عنه

(٥) رواه مسلم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه

قال الأوزاعي[١]: "كنا والتابعون متوافرون نقول :إن الله –تعالى ذكره –فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات". قد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم[٢]، ومحال أن يقع في مثل ذلك خلاف وقد تطابقت عليه هذه الأدلة العظيمة التي لا يخالفها إلا مكابر طمس على قلبه واجتالته الشياطين عن فطرته .نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

فعلو الله تعالى بذاته وصفاته من أبين الأشياء وأظهرها دليلاً وأحق الأشياء وأثبتها واقعاً.

تنبيه ثالث : اعلم أيها القارئ الكريم، أنه صدر مني كتابة لبعض الطلبة تتضمن ما قتله في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقه ذكرت فيها : أن عقيدتنا أن لله تعالى معية حقيقة ذاتية تليق به، وتقتضي إحاطته بكل شيء علماً وقدرة، وسمعاً وبصراً، وسلطاناً وتدبيراً، وأنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، بل هو العلي بذاته وصفاته، وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها، وأنه مستو على عرشه كما يليق بجلاله وأن ذلك لا ينافي معيته؛ لأنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ[٣]﴾

وأردت بقولي:"ذاتية"توكيد حقيقة معيته تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٨) وغيره وسنده صحيح وصححه الألباني في مختصر العلو ص ١٣٨ .

(٢) نقل الإجماع ابن أبي حاتم في عقيدة الرازيين، وغيره، وقال شيخ الإسلام: ولا ريب أن الخالق مباين للمخلوقات عالٍ عليها كما دلت عليه النصوص الإلهية واتفق عليه السلف والأئمة وفطر الله تعالى على ذلك خلقه ودلت عليه الدلائل العقلية. (درء التعارض ٥/ ٥٦).

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١ .

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف وقد قلت في نفس هذه الكتابة كما ترى : إنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، وأنه العلي بذاته وصفاته، وأن علوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها، وقلت فيها أيضاً ما نصه بالحرف الواحد:

(ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان فهو كافر أو ضال إن اعتقده، وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها) .أهـ.

ولا يمكن لعاقل عرف الله وقدره حق قدره أن يقول : إن الله مع خلقه في الأرض، وما زلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالسي جرى فيه ذكره.

وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة الدعوة التي تصدر في الرياض نشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم سنة 1404هـ أربع وأربعمائة وألف برقم 911 قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيميه –رحمه الله تعالى – من أن معية الله تعالى لخلقه حق على حقيقتها، وأن ذلك لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق فضلاً عن أن يستلزمه، ورأيت من الواجب استبعاد كلمة "ذاتية" بينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى وحقيقة المعية.

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض أو اختلاطه بمخلوقاته، أو نفي علوه، أو نفي استوائه على عرشه، أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى فإنها كلمة باطلة، يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان وبأي لفظ كانت.

وكل كلام يوهم –ولو عند بعض الناس – ما لا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه لئلا يظن بالله تعالى ظن السوء، لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فالواجب إثباته وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله –عز وجل.

****

المثال السابع والثامن : قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ[١]﴾، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ[٢]﴾ حيث فسر القرب فيهما بقرب الملائكة.

والجواب : أن تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبره.

أما الآية الأولى فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك، حيث قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ *إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ *مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ[٣]﴾ ففي قوله : ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ دليل على أن المراد به قرب الملكين المتلقيين.

وأما الآية الثانية : فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة، لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ[٤]﴾ ثم إن في قوله: ﴿وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ[٥]﴾ دليلاً بيناً على أنهم الملائكة، إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره، وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة لاستحالة ذلك في حق الله – تعالى.

بقي أن يقال :فلماذا أضاف الله القرب إليه، وهل جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة[٦]؟

فالجواب : أضاف الله تعالى قرب الملائكة إليه؛ لأن قربهم بأمره، وهم جنوده ورسله.

---

(١) سورة ق، الآية: ١٦.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٨٥.

(٣) سورة ق، الآيات: ١٦ – ١٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٨٥.

(٦) راجع لصفة القرب الفتاوى ٦/ ١٢-١٣ ، ٥/ ٢٢٧، ٢٣٦ مختصر الصواعق / ٣٩٦ وغيرها.

وقد جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة، كقوله تعالى﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ[١]﴾ فإن المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه، لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى صحت إضافة القراءة إليه تعالى .وكذلك جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ[٢]﴾ وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله تعالى.

****

(١) ـ سورة القيامة، الآية: ١٨ .

(٢) ـ سورة هود، الآية: ٧٤.

المثال التاسع والعاشر : قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا[١]﴾ وقوله لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي[٢]﴾

والجواب : أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته، لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا؟

هل يقال : إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله؛ أو أن موسى عليه الصلاة والسلام يربى فوق عين الله تعالى؟!!

أو يقال : إن ظاهره أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها[٣].

ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين:

الأول : أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، قال الله تعالى﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[٤]﴾ وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ *بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ[٥]﴾ ولا أحد يفهم من قول القائل : فلان يسير بعيني أن المعنى أنه يسير داخل عينه . ولا من قول القائل :فلان تخرج على عيني، أن تخرجه كان وهو راكب على عينه، ولو أدعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

---

(١) سورة القمر، الآية: ١٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٣٩. قالوا: ظاهره أنها تجري في عين الله تعالى.

(٣) انظر مختصر الصواعق / ٢٢ وما بعدها الفتاوى ٥/ ١٠٥ – البدائع ٢/ ٥-٦ وغيرها

(٤) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٥) سورة الشعراء: الآيات: ١٩٣ – ١٩٥.

الثاني : أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى؛ لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته –سبحانه وتعالى –عن ذلك علواً كبيراً.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها . وهذا معنى قول بعض السلف بمرأى مني، فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه كما هو معلوم من دلالة اللفظ حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام.



المثال الحادي عشر : قوله تعالى في الحديث القدسي : "وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه" (١).

والجواب : أن هذا الحديث صحيح رواه البخاري في باب التواضع الثامن والثلاثين من كتاب الرقاق (٢)

وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث وأقروه على حقيقته.

ولكن ما ظاهر هذا الحديث؟

هل يقال : إن ظاهره أن الله تعالى يكون سمع الولي وبصره ويده ورجله؟

أو يقال : إن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله؟

ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث، فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين:

الوجه الأول : أن الله تعالى قال: "وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه"، وقال: "ولئن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه" فأثبت عبداً ومعبوداً ومتقرباً إليه، ومُحِبًّا ومحبوباً، وسائلاً ومسئولاً، ومُعطياً ومعطى، ومُستعِيذاً ومستعاذاً به، ومعيذاً ومعاذاً . فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر، وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفاً في الآخر أو جزءاً من أجزائه.

---

(١) قالوا : ظاهره أن الله مخالط للمخلوق.

(٢) (خ ٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الوجه الثاني : أن سمع الولي وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن، ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً لمخلوق، بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره، ويحسر اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير، فكيف يسوغ أن يقال :إنه ظاهر الحديث القدسي وأنه قد صرف عن هذا الظاهر، سبحانك اللهم وبحمدك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه تعين القول الثاني وهو أن الله تعالى يسدد هذا الولي في سمعه وبصره وعمله بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصاً، وبالله تعالى استعانة، وفي الله تعالى شرعاً واتباعاً، فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة وهذا غاية التوفيق، وهذا ما فسره به السلف، وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ موافق لحقيقته متعين بسياقه، وليس فيه تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره.

ولله الحمد والمنة.



المثال الثاني عشر : قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: "من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت من باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة".

وهذا الحديث صحيح رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وروى نحوه من حديث أبي هريرة أيضاً، وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد الباب الخامس عشر.

وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى، وأنه –سبحانه –فعال لما يريد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ[1]﴾ وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً[2]﴾ وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ[3]﴾ وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى[4]﴾.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر".

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما تصدق أحد بصدقة من طيب –ولا يقبل الله إلا الطيب –إلا أخذها الرحمن بيمينه"[5]. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٤) سورة طه، الآية: ٥.

(٥) متفق عليه (خ ١٤١٠) (م ١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقوله في هذا الحديث : (تقربت منه وأتيته هرولة) من هذا الباب .

والسلف "أهل السنة والجماعة" يجرون هذه النصوص على ظاهرها وحقيقة معناها اللائق بالله عز وجل من غير تكييف ولا تمثيل .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في شرح حديث النزول ص 466جـ 5 من مجموع الفتاوى:

" وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر ."أهـ.

فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه؟

وأي مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل ؟

وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالاً لما يريد على الوجه الذي يليق به؟

وذهب بعض الناس(١) إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: "أتيته هرولة" يراد به سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه، وأن مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل، وعلل ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال في الحديث: (ومن أتاني يمشي) ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله – عز وجل – الطالب للوصول إليه لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط، بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد ومشاعر الحج والجهاد في سبيل الله ونحوها، وتارة بالركوع والسجود ونحوهما، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيَاماً وَقُعُوداً

(١) انظر (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٦/ ٢٢٧ ، ٢٦١)، ورجحه الشيخ الفوزان في شرح السنة للبربهاري، وهو من الخلاف الذي لا يبدع به.

وَعَلَى جُنُوبِهِمْ[(١)] ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين: (صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب)[(٢)].

قال: فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله، وأن من صدق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئاً جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل . وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه.

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية، لم يكن تفسيره به خروجاً به عن ظاهره ولا تأويلاً كتأويل أهل التعطيل، فلا يكون حجة لهم على أهل السنة ولله الحمد.

وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف.

ويجاب عما جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي بأن الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر فيكون المعنى : من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي لتوقفها عليه بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة أو من ماهيتها كالطواف والسعي . والله تعالى أعلم.

المثال الثالث عشر : قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً[(٣)]﴾

والجواب : أن يقال :ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها حتى يقال إنها صرفت عنه؟

هل يقال : إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام بيده كما خلق آدم بيده؟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢) (خ ١١١٧) من حديث عمران رضي الله عنه.

(٣) سورة يس، الآية: ٧١.

أو يقال : إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها لم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد والمراد صاحبها معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين:

أحدهما : أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي الذي نزل به القرآن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ[1]﴾، وقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[2]﴾ ، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُم[3]﴾ فإن المراد ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه وإن عمله بغير يده بخلاف ما إذا قال :عملته بيدي كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ[4]﴾ فإنه يدل على مباشرة الشيء باليد.

الثاني : أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده لكان لفظ الآية : خلقنا لهم بأيدينا أنعاماً كما قال الله تعالى في آدم: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ[5] ﴾؛ لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ[6]﴾

وإذا ظهر بطلان القول الأول تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني وهو : أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها ولم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٥) ـ سورة ص، الآية: ٧٥.

(٦) ـ سورة النحل، الآية: ٨٩.

النفس بمقتضى اللغة العربية، بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعدي بالباء إلى اليد، فتنبه للفرق فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم، وبه يزول كثير من الإشكالات.

****

المثال الرابع عشر[١] : **قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**[٢] ﴾

والجواب : أن يقال :هذه الآية تضمنت جملتين:

الجملة الأولى :قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ وقد أخذ السلف "أهل السنة" بظاهرها وحقيقتها، وهي صريحة في أن الصحابة –رضي الله عنهم –كانوا يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم نفسه كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ[٣]﴾

ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ أنهم يبايعون الله نفسه، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ لمنافاته لأول الآية والواقع استحالته في حق الله تعالى.

وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم مبايعة له؛ لأنه رسوله قد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى، ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله؛ لأنه رسوله المبلغ عنه، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله لقوله تعالى﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ[٤]﴾

وفي إضافة مبايعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى من تشريف النبي صلى الله عليه وسلم وتأييده وتوكيد هذه المبايعة وعظمها ورفع شأن المبايعين ما هو ظاهر لا يخفى على أحد.

---

(١) قالوا : ظاهر فيه مماسه يد الله ليد المخلوق .

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠ .

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٨ .

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.

الجملة الثانية : قوله تعالى﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم[1] ﴾ وهذه أيضاً على ظاهرها وحقيقتها، فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين؛ لأن يده من صفاته وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم . وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته وهو لتوكيد كون مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم مبايعة لله عز وجل، ولا يلزم منها أن تكون يد الله جل وعلا مباشرة لأيديهم، ألا ترى أنه يقال : السماء فوقنا مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا .فيد الله عز وجل فوق أيدي المبايعين لرسوله صلى الله عليه وسلم مع مباينته تعالى لخلقه وعلوه عليهم.

ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم ﴾يد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛ لأن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه، ووصفها بأنها فوق أيديهم . ويد النبي صلى الله عليه وسلم عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم، بل كان يبسطها إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم.

****

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

المثال الخامس عشر[١]: قوله تعالى في الحديث القدسي: "يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني". الحديث.

وهذا الحديث رواه مسلم[٢] في باب فضل عيادة المريض من كتاب البر والصلة والآداب رقم 43 ص 1990 ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب! كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟!، يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب! وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب! كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي".

والجواب: أن السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم، وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به، فقوله تعالى في الحديث القدسي: "مرضت واستطعمتك واستسقيتك" بينه الله تعالى بنفسه حيث قال: " أما علمت أن عبدي فلان مرض، وأنه استطعمك عبدي فلان. واستسقاك عبدي فلان".

وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله، واستسقاء عبد من عباد الله، والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به وهو أعلم بمراده، فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله والاستطعام المضاف إليه والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف الكلام عن ظاهره؛ لأن ذلك تفسير المتكلم به فهو كما لو تكلم بهذا المعنى

---

(١) قالوا: ظاهره على قولكم: أن الله تعالى مرض وجاع ... الخ.

(٢) (م ٢٥٦٤)

ابتداءً .وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحث كقوله تعالى﴿مَنْ ذَا الَّـذِي يُقْـرِضُ اللهَ[١]﴾

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما يحرفونها بشبه باطلة هم فيها متناقضون مضطربن .إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله تعالى ورسوله، ولو كان ظاهرها ممتنعاً على الله –كما زعموا –لبينه الله ورسوله كما في هذا الحديث .ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعاً على الله لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلا بكلفة، وهذا من أكبر المحال[٢].

ولنكتف بهذا القدر من الأمثلة لتكون نبراساً لغيرها، وإلا فالقاعدة عند أهل السنة والجماعة معروفة، وهي إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في قواعد نصوص الصفات .

والحمد لله رب العالمين.

****

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥

(٢) وانظر الفتاوى ٣/ ٤٤/ درئ التعارض ١/ ١٥٠ وغيرها.

الفهرس

❋❋❋❋